

عصر الخديوى العظيم اسماعيل

توطئه و تمهيد

كان عصر الخديوى العظيم المغفور له اسماعيل — طيب الله ثراه — بدء عهد التأسيس والتعمير ، لتشييد نهضة مصر الحديثة . وارتقاها العمل الصحيح في ميدان الحضارة والعمران .

وإذا كانت العناية الإلهية ، قد أعدت العاهل الأعظم محمد على باشا الكبير ، مؤسس الأسرة العلوية المجيدة ، لبعث النظم في مصر بعد أن قضى على عوامل الفوضى التي كانت فاشية في كل مرافق الحياة فيها ، وانقاذ البلاد



المغفور له سمو الخديوى العظيم اسماعيل

والعباد من المظالم التي تنصب عليهم من كل جانب ، وعمله الدائم لايجاد روح وطنية قوية تحقق استقلال مصر . . فان الخديوى اسماعيل ، قد استكمل هذا العمل ، إذ حصل على حق استبدال لقب « والى » بلقب « خديوى » ، وتمكن من أن ينال لها كثيراً من الامتيازات التي جعلتها شبه مستقلة ، وليس للبواب العالى سلطان عليها . الا فيما يتعلق بدفع « الخراج » سنوياً وتوطيد دعائم الدولة المصرية بشخصيتها المستقلة !

ولكى ندرك الدور العظيم الذى استطاع به سموه ، أن يبلغ به إلى هذه الغايات . نذكر أن مصر كانت قبل أن يتولاها الخديوى اسماعيل ، معدودة ولاية تركية . وكان من يتولى مقاليد الحكم فيها ، بلقب « بالوالى » . ويستمد سلطته ، ويصدر أوامره بوحى من « السلطنة العثمانية » ، وكانت العملة تضرب بأسم السلطان

الخليفة والرتب والنياشين تعطى بفرامانات (مراسيم) سلطانية . ولم يكن يصرح لمصر أن تعقد القروض المالية . أو تبرم المعاهدات مع غيرها من الدول . كما كان قاضى قضاة مصر — أعنى رئيس المحكمة الشرعية العليا — يعين من الاستانة « بفرمان » سلطانى . . . فعمل سمو الخديوى اسماعيل بما وهب من نشاط ، على الخلاص من كل القيود ، حتى حصل على لقب خديوى مصر ، وبمقتضاه أصبح ملكاً مستقلاً في بلاده ، حراً في أعماله ، فسن القوانين الادارية ، لتنفيذ مشروعات الإصلاح الداخلى . وكان يمارس كثيراً من الحقوق التي كانت محرومة على سلفائه كأبرام المعاهدات ، وصك النقود . وغير ذلك . . ثم سعى سعياً حثيثاً أقتن بالنجاح لحصر الوراثة للعرش في ذريته من بعده . بعد أن كانت تعطى للأكبر فالأكبر من أبناء محمد على الكبير . .

انصرافه إلى ترقية البلاد

والمؤرخون المنتصفون يعتبرون عصر المغفور له الخديوى اسماعيل ، عصر نقطة القومية في مصر ، المقترنة

بالرغبة الصادقة في اقتباس النافع من جوهر المدنية العصرية، وادخالها في صلب الحياة المصرية، والاستفادة منها في اشاعة الوان النشاط والابتداع وروح التقدم والابتكار في مرافق المجتمع العمراني في مصر، رامياً من وراء ذلك إلى ما يعلى قدر البلاد ويرفع شأنها في أنظار العالم : رامياً إلى جعل استقلالها حقيقة، بحيث تبرز قوة الشعب المعنوية وسيادته، في ما ينعمرهم من مظاهر الحياة الراقية !

وليس من شك في أننا حين نسرد جهوده المتعاقبة التي بذلها في تنظيم أحوال البلاد ورفقها، إنما نصور فيها معالم النهضة الحديثة التي انبعثت في مصر، وسرت إلى غيرها من أسمى الشرق العربي، فدفعت بركب التقدم إلى السير في منهاج الحضارة الحقيقية ... حتى أنعد أجماع كل من تعرضوا للتاريخ هذه الفترة الحاسمة من عهد اسماعيل على تسميتها بفترة التجديد لشباب البلاد، فأستحق عن جدارة أن يكون « مثنى مصر الحديثة » !

فهذا العاهل العظيم، المتوئب الهمة، كان إلى جانب عبقريته، وجهه للأصلاح واسع الآمال، إلى حد جعل من « مصر، قطعة من « أوروبا » — على حد قوله المأثور، وبذلك أحلت مكانها الخطير تحت قرص الشمس بين الأمم العظيمة !!

وحين نذكر الآن سلسلة الأعمال التي أنصرفت بها إلى تعميم الاصلاحات في مصر، نشعر أن كل منها ينطق من مجرد ذكره، ببيان ما دق وجل من منافعه الجزيلة، ومرامييه البعيدة، واهدافه الصائبة ...

فلقد أهتم سموه قبل كل شئ بتنظيم أحوال البلاد، لأنه كان يرى أن النظام حينما يسود الأمم، سوف ييسر طريق العاملين، ويسهل لمركبة الاصلاح جريانها السريع في الطرق المعبدة. وبذلك استطاع أن يظفر في هذا السبيل طفرات نقلتها من الركود والجمود، إلى وفرة الإنتاج والنشاط !

فكان سموه يعمل على تحسين أحوال الري . لخدمة الزراع : وترقية الزراعة فبذيت في عهده كثير من الفخاطر وشقت ترع عديدة منها ترعة الابراهيمية وترعة الاسماعيلية : كما أنشأ السكك الحديدية : ومصلحة البريد في الوجهين القبلي والبحري : وأسس طائفة من المدارس ومعاهد العلم لبث النور ونشر المعارف : ومحاربة الجهل والامية بين أبناء الشعب وأرسل البعثات المتعددة إلى أوروبا : لاقتباس المبادئ العصرية . وكان أول من سن تعليم البنات : فأنشأ لهن معاهد ومدارس كثيرة . لأنه كان يؤمن بأن المجتمع البشرى لا يرقى : ولا ينهض بغير تعاون المرأة : والرجل في ميدان الأعمال العامة النافعة ... كما أنشأ وزارة الحفائية : والمحاكم الأهلية والمختلطة . حتى تكون ضماناً على حسن توزيع العدالة بين الناس .

ولا يمكن أن ينسى أحد هبات سموه للعلم : وتوقد رغبته في العمل على نشره بين الأهليين، إذ وقف كثيراً من الأراضي الزراعية : للأنفاق من ريعها على المدارس التي أنشأها في البلاد : منها مثلاً تفتيش الوادى الذى ناهز ٢٢ ألف فدان وجعله تابعاً لنظارة المعارف لتحقيق هذه الرغبة الشريفة . وما نال منها الأزهر الشريف مما جعل النظام سائداً فيه الى درجة تدل على المكاة الرفيعة التي له : وما يرجى منه لبعث نور العرفان والتوجيه في نواحي الحياة المصرية !

النواحي الاصلاحية والعمرانية

وإلى جانب هذه الأبحاث العظيمة . لم يدخر سموه وسعاً، في العمل على إشاعة أسباب الارتقاء والتقدم : في مرافق الحياة المصرية : فأسس المصانع (القابليات) لعصير قصب السكر : حتى بلغ عددها ١٤ مصنعا : اختص مديرية المنيا

وحدها منها ١٢ مصنعا . كما شيد عدد من القصور الفاخرة : في جمال هندستها وبديع فنها . فزينت العواصم التي بها . وأنشأ كوبرى ، قصر النيل ، المسمى بكوبرى ، الخديوى اسماعيل ، . وكذلك شق شارع الهرم : الذى يعتبر الآن مفخرة عاصمة المعز : ودار الأوبرا الملكية : وكانت أول الروايات التى مثلت على مسرحها رواية «عائدة» الشهيرة التى ألفها الموسيق العظم «فردى» ، بناء على طلب من سموه : ودفع له ٢٠ ألف من الجنيهات مكافأة له ... وكانت عنايته منصرفة بنوع أخص إلى مدينتى القاهرة والاسكندرية : ففتح فيها الشوارع الفسيحة . وأوجد على جانبها الأنوار الساطعة : وغرس على مفارقها الأشجار الباسقة : وأنشأ الكثير من الحدائق الغناء والمتنزهات العامة . ومنها حديقة «الأزبكية» ، بالقاهرة وحديقة النزهة بالاسكندرية .

وكان سموه معنياً بالجيش . يرى فيه السياج حماية الوطن ويرى في تنظيمه وتقويته ، مظهر سيادة البلاد ، فجدد في تسليحه . وتقوية حصونه . وعنى بالبحرية المصرية ، فكان من أثر ذلك أن توسعت حدود مصر وامتدت إلى ما وراء خط الاستواء ، وانتشرت تجارتها الخارجية إلى حدود مملكة أوغندا ، حين فتح الجيش المصرى مملكة أوغندا وامتلك منطقة البحيرات وشمال الصومال ، وغرب الحبشة . . . وعمل على تعمير السودان ، وتنظيم شؤونه . وترقية أحواله كما أنشأ المدارس العالية كالمهندسخانة والحقوق ، ووسع نطاق مدرسة الطب ، وأستعان على تحقيق كل هذه الإصلاحات ، بالبذل والجود ، والسخاء ، فضلا عن الرعاية الدائمة التى كان يشملها بها .

حفلة افتتاح قنال السويس

ولا يمكن أن ينسى أحد أن من أبرز أعمال اسماعيل الخالدة ، افتتاح قنال السويس التى ربطت الشرق بالغرب وأهميتها معروفة . . . فقد خدم سموه بهذه القناة الحضارة العالمية أجل الخدمات . . . وقد كان الاحتفال بافتتاحها عيداً من أعظم أعياد الدنيا ، أشترك فيه كل ملوك العالم وملكاته الذين وفدوا إلى مصر بدعوة من سموه للمشاركة في هذه الغاية ، وقد نزلوا جميعاً ضيوفاً كراماً على سموه مدة الاحتفال . . .

وإنى . لا اعتقادى بما تقترن به هذه الحفلة الخالدة . من امجاد مصر وعظمة خديويها الكريم اسماعيل ، أورد فيما يلى صورة وصفية لهذه الحفلة كما شهدتها . مؤمناً أن أنوارها سوف تظل متألقة إلى الأبد في صفحات التاريخ المصرى ، تزداد على تعاقب الزمن لمعاناً وأشراقاً . . .

وصف الاحتفال^(١)

لما انتهى العمل في حفر قناة السويس التى تصل الشرق بالغرب . وأهميتها غير منكورة . فكر صاحب السمو المغفور له الخديوى اسماعيل منشئ مصر الحديثة بحق أن يحتفل بافتتاحها رسمياً بحضور ملوك الدنيا ، وعمه وأمراءها ، فأبحر سموه ومعه حاشية كبيرة . إلى فرنسا وإنجلترا ، ومرتبلاد ألمانيا وإيطاليا والنمسا واليونان وغيرها من البلاد الأوروبية لدعوة ملوكها وقياصرتها لحضور حفلة افتتاح القنال . . . واستقبل سموه في كل بلد حل فيها في خلال هذه الرحلة استقبالا عظيماً ، حيث كان ينزل ضيفاً كريماً على هؤلاء الملوك !

(١) نشر أخيراً بمجلة «الائمين» ، وفي جريدة «الأنداز» ، الغراوين

ولا ريب في أن ما شهدته مصر من جلال المظاهر ، وروعة الحفلات التي أقيمت بها في هذه الحفلة التاريخية يحل عن كل وصف . ولكن العبرة منها تبرز فيما أقامته من الأدلة على انفراد سمو الخديوى اسماعيل بحكم مصر ، وما ترمز اليه من الاستقلال بشؤونها . إلى درجة أن سلطان تركيا في ذلك الوقت ، لم يحضر - من دون جميع ملوك العالم - هذه الحفلة . أو حتى يرسل مندوباً عنه لحضورها ، لأنه رأى أن ما أحاطت به الأمم خديوى مصر من مظاهر الاجلال ، مثيراً لعوامل الغيرة والحسد في نفسه !

ولقد كانت الامبراطورة أوجيني امبراطورة فرنسا ، وقرينة نابليون الثالث أول من قدمت إلى مصر لحضور هذا الاحتفال . ولقد استقبلها سمو الخديوى استقبالا فريداً . وانزلها في سراى الجزيرة التي كانت قد شيدها خصيصاً لسكنائها . وكان يرافقها في كل تنقلاتها باعتبارها رئيسة الشرف في هذا الاحتفال ويسهر على راحتها أينما كانت . مما سرت له ابلغ السرور !

وبعد ذلك بدأت البوارج الحربية ، والبواخر الفاخرة المقلدة للدعوى من عو اهل أوروبا . وكبار ملوكها اتصل إلى الموانئ المصرية ، فكانت تقابل بالتحية اللائقة . والحفاوات الباهرة . وتطلق لها المدافع ترحيباً بها . وإعلاناً عن السرور بقدمهم . ونظراً للكثرة القادمين كانت المدافع ما تكاد تصمت عن الدوى . حتى تعود من جديد ، فتضاعف طغافها بشكل أرحت له الأرض ، ولم تألفه مصر من قبل ..!

ولما حل يوم الاحتفال لافتتاح القناة أخذت سفن المدعوى تسير في القناة من بور سعيد إلى السويس يتقدمها النسر - بارجة الامبراطورة أوجيني - إلى أن وصلت إلى الاسماعلية : وهي المدينة التي بناها الخديوى اسماعيل خصيصاً في هذه المناسبة . حيث أقيم هناك مرقص الاسماعلية المشهور تحت رعاية الامبراطورة . واشترك فيه أصحاب التيجان والأمراء والأميرات .

وقد بذل في هذا المهرجان ما لا يستطيع قلم أن يصف ما توافر فيه من ألوان البذخ . ومظاهر الترف وصنوف المسرات . وهما عالم الافراح . ورتب فيه مقصف حوى مالد وطاب من المأكول والمشرب . وامتزجت هذه المظاهر الفاتحة بطرب الرقص وأنغام الموسيقى والالعب النارية فضلاً عن الزينات المؤلفة بالانوار الساطعة . حتى لم يبق أحد في مصر ممن شهد هذه الحفلات . لم يعتبر نفسه أنه قد نقل إلى عالم الخيالات فكانت ليلة لم ترها العيون مثيلاً ... ولا أعتقد أن الاجيال الحاضرة أو القادمة ترى لها نظيراً ... ولا عجب في ذلك ، فان ليلة تبلغ نفقاتها أربعة ملايين من الجنيهات الذهب ، لى ليلة من ليالى الخلود !!

الحكم النيابي والمدنية الحديثة

وكما كان الخديوى اسماعيل دائماً في ادخال ضروب الاصلاح التي يرى فيها تمدين البلاد المصرية وتقدمها . ولما فطر عليه من ميل طبعي للحضارة الأوروبية الحديثة ، فقد عمل على ادخال الملابس الأفرنجية . وأمر بأن يتخذها الموظفون في دواوين الحكومة زياً رسمياً . وكذلك كان أول من بعث في مصر نواة الحكم النيابي . اذ أنشأ أول مجلس نيابي في البلاد فوطد بذلك دعائم الشورى ، ورعى من ورائها إلى اشراك عظماء الأمة في ادارة أداء الحكم . لكي تساهم الطبقات المفكرة في تنشيط حركة الاصلاح وبث في نفوس الشعب روح الثقة والطمأنينة التي نشرها على أوسع نطاق في أرجاء الوادى ، وتوصل بها إلى النهوض بمرافق الثروة القومية . وترقية الصناعة والزراعة التي كان يرى أنها عماد الاستقلال الحقيقي للبلاد .

والى جانب ذلك كله . بعث نهضة صحفية في عهده . عن طريق تشجيعه للأدباء . وحمته الأوفياء ، والشعراء . وذوى الأفكار . . . وأهم الصحف التي صدرت في ذلك العهد هي : «اليعسوب» ، و«دروسة المدارس» ، و«ابونضارة» ، و«جريدة الجيش المصري» ، و«الجريدة العسكرية» ، — واضعاً نصب عينه إيجاد رأى عام مستنير في البلاد . عن طريق نشر المعارف العامة بوساطتها بين طبقات الشعب !

أبرز الحوادث وأعلام الرجال

وكان للخديوي اسماعيل اطماع واسع كما قلنا . فقد كان يرمى بأنماض مصر . ورفعة شأنها بين الأمم . إلى الأسفل . غير ضنين في هذا السبيل بجهد أو تعب أو مال . إذ كان يريد أن تكون مصر أقوى أمم الشرق القريب والبعيد . وكان يود . لو يتأذى به — على هذا الأسس — إمبراطوراً على أفريقيا . ولعله قد مهد الطريق لهذه العاية مع نابليون الثالث والسلطان عبد العزيز . ولولا بعض الحوادث والتطورات السياسية في المحيط العالمي أتم السوء تحقيق هذا المقصد ! .

فمن أبرز الحوادث في عهده إنشاء المحاكم المختلطة التي كانت سموة المغفور له نوبار باشا من أحلمها ، أن يطوف بالأمم الأوروبية ويقتبس من محاكمها الأنظمة المعمول بها هناك ليدخلها فيها . ويعمل على نوال موافقة تركيا عليها . وبذلك أنشئت وزارة الحقانية في مصر تشرف على حسن توزيع العدالة . القسطاس بين الناس ! ولم تنتظم الأعمال تماماً في هذه المحاكم . إلا بعد تولية المغفور له حسين فخري باشا نظارة الحقانية فاستكمل لها حسن النظام . وأنشأ إلى جانبها المحاكم الأهلية . وكان المتبع إلى ذلك الوقت أن تكون وظائف السكينة والموظفين فيها وقضاها قاصرة على المسلمين . ولكن الساحة التي عرفت عن الخديوي اسماعيل : وما حبلت عليه نفسه من الرغبة في تعميم المساواة بين رعاياه من المصريين . حفزته على أن يأمر بتعيين الأقباط . أسوة بأخوتهم في الوطن . في سائر الوظائف بهذه المحاكم .

ومن أظف ما أذكره بهذه المناسبة أن أول قاضي وقبطي . ظفر بالتعيين كان اسمه «عبد الملاك بك كتكوت» . وقد عين في محكمة قنا الأهلية . وأن جدي المرحوم «يوسف بك عبد الشهيد» عين مديراً لديوان القضايا في المنيا . وكانت هذه الوظيفة تعادل وظيفة نائب عاد . يتولى التحقيق في القضايا الكبرى . ويصدر فيه أحكاماً تماثل أحكام القضاء في أول درجة . بحيث تعتبر نهائية إذا لم تنقضها محاكم الدرجة الثانية أي . الاستئناف !

وكان سموه أيضاً يأمر بتعيين بعض الأكفاء من أصحاب المواهب من (الأقباط) في الوظائف الادارية الكبرى . حيث عين المرحوم «سرور بك» وكيلاً لمديرية الدقهلية . كما عين سمواه أيضاً في مش هذه الوظيفة . وكان هذا العمل الجليل من سموه بمثابة رمز قوى على وحدة مصر . وعلى عمله للقضاء على الفوارق الدينية بين أبناء البلاد . ومحو التفرقات البغيضة التي تفرق بين أبناء مصر كأفراد ومواطنين . وبين مواطنيها كجماعات !



المغفور له نوبار باشا

كذلك من الحوادث البارزة التي حدثت في عهده مشترى ومبيع أراضي الدائرة السفينة — مسألة اسماعيل باشا المفقش — وكل هذه أمور معروفة نكتفي بالإشارة إليها .

أما أعلام الرجال في عصره ، أولئك الذين تزدان صفحات تاريخ مصر بخدماتهم لها ، وأخلصهم لعرشها وجهادهم من أجل رفعتها ، فهم المغفور لهم :

نوبار باشا — شريف باشا — رياض باشا — علي مبارك باشا — ثابت باشا — خيرى باشا — شاهين باشا — راسم باشا — قاسم باشا — اسماعيل صديق باشا (المفقش) — سلطان باشا — السيد اباطة باشا — قدرى باشا — اسماعيل محمد باشا — بهجت باشا — عرفان باشا — سلامة باشا — راغب باشا — عبد القادر حلمى باشا — عمر لطفى باشا — علي شريف باشا — مصطفى فهمى باشا .

وكان لكل فرد منهم عظمته الخاصة ، وجانب النبوغ الذى تفرد فيه ، وشخصيته الساحرة ، ووطنية الصادقة وعمله الواسع .

وسوف نتناول بالحديث بعض المواقف التاريخية التى تذكر لكل منهم ، فى موضعها ، من هذا الكتاب حسب تسلسل الحوادث .

زيارة السلطان عبد العزيز^(١)

ولقد شهدت مصر فى عهده — عدا حفلة قنال السويس — أعظم احتفال فى تاريخها بزيارة السلطان الخليفة عبد العزيز للخديوى اسماعيل فى مصر ...

ويعتبر الاحتفال الذى أقيم لهذه الزيارة مما لا ينسى فى التاريخ فقد كان للخليفة منزلة الرفيعة فى النفوس . ولم يكن اسمه يذكر إلا مقروناً بألقاب التعظيم والتكريم . وكان المصريون — ككل المسلمين فى جميع أنحاء العالم — يحلقونه ويحيطونه بمظاهر الولاء والحب الوفير . وكانت العلاقات — على الرغم من أن مصر كانت تعتبر قديماً ولاية تركية يشرف عليها الباب العالى — بين الأتراك والمصريين ، قائمة على دعائم المودة المتبادلة والمصالح المشتركة . وكانت خطبة أيام الجمعة تتلى فى المساجد باسم السلطان الخليفة ، وبالدعاء له ...



المغفور له السلطان عبد العزيز

وكان الخديوى اسماعيل — طيب الله ثراه — من أعظم الخديويين الذين ولوا عرش مصر فى العمل على تقوية عرى التفاهم والمودة بين العرش السلطانى ، ومصر ! وبلغ من حبه للخليفة السلطان عبد العزيز ، أن التمس منه التفضل بزيارة مصر ، فأجاب السلطان هذا الطلب وشرف وادى النيل . ولقد كانت مظاهر الحفاوة البالغة . وما قبل به عظمته . من الأهلين والحكومة . من ألوان التمجيد والتكريم : فوق كل بيان ! ولقد تركت هذه الحفاوة فى صدر عظمة السلطان تأثيراً كبيراً . لا سيما عند ما لمس عن قرب عظمة الشعب المصرى .

(١) نشرت بالانين ، ود الانذار ، :

وصفاً معدنه . وتبين له مدى تقدمه المضرد في ميدان الحضارة . بفضل الجهود الموفقة التي يبذلها سمو الخديوى اسماعيل في هذا السبيل . وبعث مظهر الجامع الأزهر الذى يعتبر أكبر جامعة إسلامية ترس النور والعرفان في أنحاء الشرق كامل ارتياحه . الى حد أن قرب اليه نوابغ علمائه ، وأحاضه بعطفه وأوصى بهم خيراً ! كما أن عظمته اختص رجال الدين المسيحي في خلال هذه الزيارة برعايته وحفاوته . ولا سيما البطريرك القبطى .



المتنيج الأنبا ديمتريوس

ومن طريف ما حدث عند ما استقبل السلطان عبد العزيز . المتنيج الأنبا (ديمتريوس) بطريرك الأقباط . أن نهض لاستقباله ، فأمرع غبطته بتقبيل صدره من الجانب الأيسر . في موضع القلب ، فجفيل عظمته . ولكن البطريرك قال له : و جاء في الكتاب المقدس : إن يد الله على قلب الملك ! وأنا بهذه التحية أقبل يد الله الى على قلبكم الكريم ، !

فسر عظمته بذلك . وأنعم عليه بالنياشين الرفيعة . ووهبه أطيافاً واسعة الاتفاق من ريعها على المدارس التي كان يديرها

ولا تسئل عن أفراح شعب مصر بهذه الزيارة . إذ كانت الفترة التي حل فيها عظمة السلطان ضيفاً كريماً بمثابة الأعياد والمواسم . لما أقيم فيها من الأفراح والمهرجانات إذهن السرور اعطاف البلاد . وسرت روح البهجة في ربوعها . .

غير أن سمو الخديوى اسماعيل ، حينما كان باستانبول — لم يكتف بهذه الزيارة الميمونة . بل التمس من السلطان أن يتفضل بزيارته في سراياه العامرة ، باستانبول المعروفة باسم (اميرجان) لتناول طعام الغداء .

فلما قبل السلطان دعوة الخديوى قيل اسمه : و إن السلطان لا يدخل بناء سبق لغيره من الناس سكناه . . . فالواجب — والحالة هكذا — أن ينشئ . كشك ، بحديقة القصر الغناء لاستقباله . . فما وسع الخديوى اسماعيل مبالغته في اكرام السلطان إلا أن بنى قصرأ صغيراً فخماً . وكلف معامل . باريس ، بصنع أدوات رائعة للمائدة من الذهب الخالص المرصع بالجواهر الثمينة ، ليقدّم فيها الطعام خصيصاً للخليفة المعظم .

وعندما شرف نظمتة المأدبة نهض بمهمة اكرامه الخديوى نفسه . ولما أعججته الاوانى الخاصة بالمائدة أمر بعد تناوله الطعام فيها . بقبولها وضمها الى الكنوز . الشاهانية ، رمزاً لرضائه الشاهانى على الحضرة الخديوية . ولا يفوتنا أن نذكر أن هذه الحفلة كانت من العوامل التي يسرت السبيل أمام سموه ، في حصر ورائته العرش في أبنائه .

أفراح الأعيال

وتأتى في المرتبة الثانية . من هذا القبيل . أفراح الأعيال التي أقيمت في البلاد ابتهاجاً بقران سمو الخديوى (توفيق) والسلطان (حسين) والأمير (حسن) والأميرة (فاطمة هانم) — طيب الله ثراهم — فان ما أذكّره أنا شخصياً من مناهج هذه الأفراح ، والجود والسخاء . الذى غمر به سموه الشعب في خلالها يفوق كل وصف . إذ اقيمت السراوقات الفخمة وصنعت من الحلوى وأنواع (الملابس) الشبيهة اهرامات . على غرار اهرامات الجيزة وجاءوا بنا وكنا طلبة في المدارس — لبرى وانتال نصيبنا منها . ونلتهم كفايتنا في خلال . يوماً بلياليها — وهى المدة التي ظلت فيها هذه الأفراح خافقة الاعلام على البلاد !

من نوادر الخديوى اسماعيل

وكان الخديوى اسماعيل لطيف المعشر . يميل إلى المرح والسرور . كلماً ما يدخل البهجة على الصدور ، يحب الموسيقى والغناء ، ويرعى رجال الفنون ، ويغمرهم بعطفه ورعايته . وقد نالت (المظ) المغنية . كما نال عبده الخولى ، في عهده مكانة رفيعة بفضل تشجيعه وجوده عليهما . وعطايأة السخية لهما كانت مضرب الأمثال .



كما كان اسمه نوادر كثيرة ، وطرائف طليقة . تم على لطفه وخفة روحه اذكر منها أن أحد مفتشى مزارعه — وكان اسمه « عكوش باشا » دخل عليه ذات يوم وقال له مستأذاً : يا أفندينا .. لقد وجدت كثيراً ثميناً للبلاد . وذلك هو زرع ستين ألف فدان من أملاك الدائرة السنية في اليوم . وأشجار زيتون . يمكن أن يستخرج منها كميات كبيرة من الزيت . تمدون الأهالي . وجميع الآلات الموجودة بالبلاد . وكذلك السكك الحديدية ويمكن أن تصدر منه المقادير الزائدة عن الحاجة إلى الخارج . ولما كانت المصانع اللازمة لاستخراج الزيت . يستلزم استحضارها وأعدادها للعمل وقتاً طويلاً . فالتس من سموكم اصدار الامر . باستحضار الآلات حتى نعد للعمل حين ينضج الزيتون . ويطيب ثماره . خيراً من تأخير العصور ...

فسر سموه لذلك مروراً كبيراً . واستدعى في الحال المعفور له محمد سلطان باشا — الذى كان إذ ذاك حاكم الصعيد العام — وقص عليه ما عرصه « عكوش باشا » وأمره باتخاذ ما يلزم لاستحضار الآلات اللازمة من أوروبا ... فلما سمع سلطان باشا الرواية ، ابتسم وقال .

— : لا يغرب عن شريف علمكم أن عكوش باشا رجل اشتهر بالخيال الكاذب . وهو يميل كثيراً إلى المبالغة والخرع . وإذا اعتمدنا على مثل هذه الأقوال التى لا نصيب لها من الحقيقة . فسوف نكبد خسائر جسيمة والبرهان على ذلك هو استحضار الآلات قبل معرفة نتيجة زراعة الزيتون . الذى لا نعرف أن كانت تنجح أم لا . فمن الخير يا أفندينا الانتظار حتى نرى هل تنمو الزراعه وتنضج . أم العكس ، هو الصحيح — وفى هذه الحالة يمكننا أن نحكم هل الامر يقتضى استحضار الآلات أم صرف النظر عنهم .. وهنا أجاب الخديوى قائلاً :

— : « اسمع يا سلطان باشا . . . انا عارف بخيالات عكوش . وفاهم انه كذاب .. ولكن كذبه بسيط ، وأعرف أنك صادق ولكن صدقك يضابقى فاذهب واظب الآلات وانت .. ولتكن تجربة ، ! وفعلنا طلبت الآلات وتم تركيبها . ولكنها لم تستخدم فى العرض الذى اشدت له . لأن الزيتون لم ينضج فعلاً .

عاقبة « جعلص » « الا فاك » !

ومن انطف ما حدث فى تلك الأيام أن ظهر فى إحدى بلاد مديرية حرجا شخص يدعى « جعلص » ادعى الولاية . وأخذ ينادى بنفسه خديوياً ، فألف حوله بعض الرعا . فما أن بلغ خبره الى مسامع الخديوى اسماعيل حتى أمر بالقبض عليه وشفقه علانية فى وسط البلد التى ظهر فيها . ثم أمر بتوزيع أهليها على البلاد المجاورة . وهذه مبانهم وحرثها لتكون أرضاً زراعية . حتى لا يكون لها أثر فى الوجود . بعد أن ظهر منها هذا الشرير !

كما حدث أيضاً انه كان يوجد في عهده فيالق من «الباشوزك» - وهى جيوش مكون كل منها من ٦٠٠ عسكري . خليط من جميع الأجناس - وكان هذا النظام من بقايا الولاة السابقين ، اذ كان يوجد منهم في كل مديرية «سنجق» . فاخذوا يعيشون في الأرض فساداً ، ويهددون الأمن العام . وكان بينهم كثيرون من الأعراب الذين يسكنون الصحارى والسواحل ، في الخيوش والخيام . فاراد سموه التخلص من هذه الأنظمة ، فأمر حكام البلاد بأن يعزوا الى الفريقين بأن الحكومة ستفتح السودان وانه سيعهد اليهم بهذا الأمر - أى للسناجق والأعراب - وكانت النية متجهة في ذلك الزمن الى ضمّه الى مصر فعلاً . . . ففرحوا بذلك ، وسرعان ما تهيأوا للسفر ، وصرفت لهم الحكومة ما يلزم لرحيلهم . فسافروا جميعاً . ولكن الأوامر صدرت الى حاكم السودان العام - وكان المغفور له عبد القادر حلى باشا ، بعدم السماح لهم بالعودة الى مصر . اذا سلم منهم أحد في الحرب ، وبهذه الوسيلة استراحت البلاد من شرورهم !

حرص سموه على قومية المصريين !

ومن أهم ما حدث في عهده ، مما يدل على حرص سموه على قومية رعاياه ، أن أنتشر في أنحاء البلاد مبشرون من الامريكان . كانوا يطوفون بالبلاد للتبشير للذهب البروتستانتى ، عاملين على ضم الأقباط الارثوذكس اليهم . وفعلوا امكهم استمالة بعض العائلات المعروفة في البلاد - وكانت عائلتنا «خياط» و «ويصا» هما أول العائلات التى خرجت من المذهب الارثوذكسى الى المذهب البروتستانتى !

وتصادف إر المبشرين انتقلوا بعد ذلك الى مديرية المنيا ، وكان اقباط المنيا يتبعون نصائح جدى المرحوم يوسف بك عبيد الشهيد ، فهامهم عن الاتصال بهم ، أو حضور اجتماعاتهم . فغضب المبشرون لذلك . واحتج رئيسهم الدكتور «هوج» على هذا العمل ، ورفع شكواه الى قنصل امريكا في القاهرة ، الذى ابلغ بدوره الشكوى الى نظارة الخارجية فالداخلية . وهذه ابلغتها الى المديرية لاجراء التحقيق اللازم - فلما دعى جدى لسماع اقواله امام المدير قال :

- : « إن الأمر بسيط للغاية . . . فقولاء المبشرون حضروا الى بلادنا ، يطلبون منا أن نخرج من ديننا ، وتدنكر لقوميتنا . . . فرفضنا ذلك !! وأنهم ليشكوننا لحرصنا على مذاهبنا ، ووطنيتنا . . . فان كانت الحكومة تريد ان تساعدنا على أغراضهم ، فلتقل لنا ذلك بصراحة ، ونحن نفكر فى الأمر ، !!

فلما بلغ مسامع الخديوى اسماعيل هذا القول الذى أعلنه جدى . استدعاه وشكره ، وتفضل فانعم عليه بهيشان رفيع . لأن سموه كان كارها أن يخرج أحد من رعاياه على مذهبه الى مذهب آخر أجنبى . وكان حرصه على قومية رعاياه لا يضاويه إلا حرصه على عرشه . ولذلك رأى لىكى يقضى القضاء المبرم على هذه الحركة الانفصالية . أن يقوم المنتيج غبطة الأنبا ديمتريوس بطريرك الأقباط في عهده برحلة في النيل الى أقاليم الوجه القبلى ، وأمر بأن توضع باخرة من بواخر سموه تحت امره ليطوف بها ، على أن يكون في استقباله في كل مكان يحل فيه الحكام والمديرون ؛ ويقدمون له ما يليق به من التجلة والحفاوة وحسن الاستقبال - وبذلك استطاع سموه أن يحول دون هذه الحركة التى كان يرمى الأجانب منها إلى أن تتبع الكنيسة القبطية المصرية كنيسة أخرى أجنبية . الأمر الذى يذكر لسموه بالحمد والتمجيد !

مثال من سماحته العظيمة

وإذا كان الشيء بالشئ يذكر . فللدلالة على سماحة اسماعيل العظيم ، ومبلغ احترامه للعقائد الدينية اذكر أنه عندما أريد فتح شارع كلوت بك - وكان في زمنه من أهم شوارع العاصمة - وكان النظام يقضى ليكون الشارع مستقيماً أن يمر بكنيسة الاقباط الكبرى الكائنة بالدار البطركية . فرأت مصلحة التنظيم هدم جزء منها على أن تبني داراً أنغر ، وكنيسة أعظم على نفقة الحكومة ... فعارض البطريك الانبا ديمتريوس في هذا الأمر ... والتجأ إلى سمو الخديوى قائلاً :

— إني يا أفندينا أشتاء من هدم معبد ديني ، يذكر فيه اسم الله ... في عهدكم السعيد ، وجعله ليكون طريقاً للسابلة ، واعتقد أنه لا يرضى الخناب الخديوى ذلك الأمر !
وعندئذ أصدر سموه أمره الكريم ، بتحقيق رغبة البطريك وقال :
— لا تنكر رغبة البطريك ، وليبق الشارع قائماً كما هو ، ولا بأس من انحرافه في هذه الناحية ، إكراماً لبيت من بيوت الصلاة !

عدالة الحكام في عهد إسماعيل

وما أذكره عن استقامة الحكام وعدالتهم . في عهد اسماعيل ، أنه كان يوجد مدير في مديرية قنا اسمه داود باشا ، وقد بقي فيها زمناً طويلاً . وكان اللصوص في ذلك الزمن وقطاع الطرق منتشرين في أرجائها ، بحيث لم يكن أحد يأمن على نفسه بالليل أو النهار . وكان اهتمام المدير بتطهير المديرية من المجرمين وصون الأمن والنظام كبيراً . ولكنه كان كلما ضبط بعض اللصوص والمجرمين وأحالهم إلى النيابة فالحاكم ، يحكم ببرائتهم ... لعدم توافر الأدلة ! وضاق صدره بهذه الاجرامات ، لثقتة بأداة هؤلاء المجرمين . فوطد نفسه على أن يقتص منهم . ويريح الناس من شرورهم ، فأستن لنفسه طريقة خاصة . اتبعها . وجرى على منهاجها شخصياً ، وذلك بأن القاتل ، حين تتوفر عليه ما يقتنع هو به من الادلة على أنه اقترف جريمة القتل يأمر بقتله خنقاً في السجن . وبعد الوفاة كان يستصدر من الطبيب شهادة بأنه مات . بالحى التيفودية . أو بالسكتة القلبية وبذلك ينتهى أمره ويستريح من شره !

النزاهة المطلقة

وقد حدث ذات مرة ، أن أحد الأطباء أمتنع عن اعطاء الشهادة اللازمة بوفاة أحد الأشرار الخطرين ، فأحضره عنده ، وجلده ، وأرغمه على توقيع الشهادة اللازمة !
وكان كذلك إذا تأكد له أن رجلاً هتك عرضاً ، أو نهب انساناً بالاكراه . ولم يقض على حياته في أثناء ارتكاب جريمته . يكتب أن يفقده بصره جزاء . وفاقا لعمله الاجرامى الوضع ... !
ولقد ترتب على هذا القصاص الذى ذاع أمره في أنحاء المديرية أن تطهرت البلاد تماماً من المجرمين ، وآمن الناس على أموالهم وأعراضهم ، وغدت في استتاب الأمن والنظام مضرب الامثال !

محاربه لا استغلال النفوذ

حدث مرة أن جاءت امرأة أرملة . تولول باكية . ودخلت عليه في غرفته بديوان المديرية قائلة في غير كلفة :

— :العمدة نهب جاموستى يا داود . وأنت فى المديرية ... فهل هذا يرضيك ؟ فأبتسم وأجابها :
— : لا تخافى شيئاً ... سوف ترد إليك جاموستك إن كان كلامك صحيحاً ، !!
ومع انه كان فى ذلك الوقت مريضاً ، وفى دور النقاهة . إذ كانت قد أجريت له عملية « بواسير » منذ أيام .
وكان ركوبه دابة امرأ شاقاً آنماً عليه . فانه أمتطى حصانه ، وقال :
— : « لن يهدأ لى بال إلا إذا ردت لهذه المرأة جاموستها ... داود موجود ، وعمدة يسرق جاموسة امرأة »
إن آلام العملية تحتل ، ولا يحتمل هذا الاغتصاب !
وفعلاً ركب حصانه . وركبت المرأة دابة . حتى وصلا إلى بلدتها ، واستحضر العمدة ، وبسؤاله علم صدق
دعواها : فأرغمه على دفع خمسة جنيهات تعويضاً لها ، ورد إليها جاموستها وعاقبه بالجلد تأديباً له ، وزجراً لامثاله
من الحاكمين الذين يستغلون نفوذهم ، وسلطة وظائفهم !!

حيلة لطيفة وتخلص بارع !

ولما نظهرت مديرية قنا من الأشرار ، نقل داود باشا إلى مديرية جرجا ، فسلك مسلكه المعبود فى استئصال
شأفة المجرمين . وحمل عليهم حملة قطعت دابرهم ... ثم نقل بعدئذ إلى مديرية الجيزة — وكان اهتمام الحكام منحصراً
فى تحصيل الأموال الأميرية ، ومختلف الضرائب المقررة ، فرأى داود باشا أن الأهلىن يسددون ما هو مطلوب
منهم عن طيب خاطر : إلا أحد العلماء ، وكان يملك أراضى واسعة فى بعض القرى ، ولكنه يسكن فى مدينة الجيزة
فهو الوحيد الذى يماطل فى دفع الأموال ، حتى لقد تراكمت عليه المتأخرات منها إلى أن أربت على مبالغ جسيمة .
فارسل اليه يستدعيه ولكنه رفض التوجه اليه واجاب الرسول بأنه لاشغل لى عنده ... فلما عاد الرسول وأخبره
بما قال ، غضب عليه ، وجلده عقاباً منه على تقصيره فى إحضاره ... وأمره بأن يذهب إليه ، ويستحضره حالاً ،
فذهب الرسول ، وكان جسمه لايزال ملتباً من آثار ما ناله من الجلد ، وأحضره بالكرباج قبل أن يدع له فرصة
للاعتذار ، أو الفرار ... فدخل العالم ، على داود باشا وبعد أن حياه قائلاً : « السلام عليكم ياسعادة المدير ، وهم
بالجلوس إلى جواره . فى الحال صرخ فيه قائلاً : « قم ! » ثم دعا اثنين من القواصين ، وأمرهم بأن يطرحاه أرضاً .
وبعضاً فى أقدامه القيود ، ويجلده بالسياط .. وكانت علفه ، لم ينقذه منها إلا سداده ما هو مطلوب عليه للحكومة !
ولما ذاع نبأ ذلك بين أخوانه ، تكون منهم وفد . وذهب إلى قصر عابدين وتشرفوا بمقابلة سمو الخديوى
شاكين له ما فعل داود باشا بزميلهم . قائلين له : « يا أفندينا ، فى عصرك الزاهر ... عصر النور والعرفان . لا ترضى
سموكم أن يهان رجال العلم والدين ، ويجلداوا كالفلاحين ، !

فأحضر سمو داود باشا ، واستوضحه جلية الأمر على مشهد من العلماء ، فاجاب وهو ثابت الجنان ، وقد أصطنع
حيلة بارعة للتخلص من هذا المأزق الحرج : — : « إن أفندينا هو نائب الخليفة فى الحكومة المصرية .. وانا فى
منصبى نائب الخليفة فى مديرتى .. ولقد ثبت لدى إن هذا الرجل مارق ، وانه قد عمل أعمال الكفار . وتناول
لبسائه على مقام أحد الأنبياء ، فلم يسمنى الا تأديبه بالجلد ! وهنا قال العلماء : « بل كان لابد من رجمه !

فأبتسم داود باشا وقال : « لقد جلده بما يكفى وزيادة ! »

حينذاك انصرف الجميع من الحضرة الخديوية شاكرين حامدين اهتمام ولى الأمر بشكواهم !!

ولكن افندينا، لم تجز عليه هذه الحيلة، فبعد انصراف العلماء، سأل داود باشا أن يفصح عن الحقيقة... فقصصا على اسماعه الكريمة، وعرض كيف ان هذا الرجل يريد أن يجعل من نفسه بامتناعه عن سداد المطالبات الاميرية، حكومة داخل الحكومة... وانه بعد ان ناله ما يستحق استقامت الامور فأغرق افندينا في الضحك وقال...

—: خليك على هذا ياد اود.. وكل مرة شتم وكفر..!

وعلى ذلك أنتهت الرواية .. !

لطائف لبعض المديرين!

ولعل أظرف نادره من هذا القبيل : هي التي وقعت لمحـب بك ، والد المغفور له محـب باشا ، الذي كان مديراً للمنيا . . . فقد جرت العادة أن يطلق عليه اسم مدير المنيا ، وبني مزار ، فعندما أراد الباشكاتب أن يعتمد منه أول خطاب لنظارة المالية — سأله قائلاً : ماذا كتبت تحت الامضاء . قال الباشكاتب كتبت « مدير المنيا وبني مزار » فسأله المدير : والفشن . . فين ودتها ؟ ! أجاب الباشكاتب : « في مكانها ياسعادة المدير » !

فصرخ فيه المدير قائلاً : « اسمع يا باشكاتب . . أنا عارف شغلك كويس ! أنت مسكت الفشن وأعطيته لمدير نبي سويف . . ولذلك لا أتعتمد أمراً ليس فيه الفشن » !

وهنا أضطر الباشكاتب لانجاز العمل وعدم تعطيله أن يضيف في الامضاء كلمة « والفشن أيضاً حسب أمره » ! وعندما وصل هذا الخطاب إلى نظارة المالية دهش له المغفور له اسماعيل صديق باشا ناظرها في ذلك الوقت وأمر باشمـحاسبـي الدولة ، المرحوم وهـب بك الجيزاوي أن يستدعي الباشكاتب لسؤاله في الأمر ، فلما مثل بين يدي الوزير الخطير : روى الواقعة بمخـافيرها ، فضحك لها ، وأستدعى المدير وأفهمه بأن يستمع لنصائح الباشكاتب !! ولما التقى المدير بالباشكاتب أستسمحه ، وطيب خاطره ، فأجابه هذا . . أن الامضاء هي التي عملت كده !!

حاكم الصعيد العام !

وفي زمن الخديوى اسماعيل ، كانت وظيفة الحاكم العام للصعيد متبادلة بين ثلاثة من عظام مصر ، وأكبر ذواتها ، وعلية القوم فيها وهم المغفور لهم « محمد سلطان باشا » ، و « محمد قاسم باشا » ، وعمر لطفي باشا . . وكان لكل منهم مواقف مشهودة . . اذكر منها مالا يزال ماثلاً في ذهني ، مما يدل على عظمة النفس ، والشجاعة الأدبية التي كان يتحلّى بها سلطان باشا . . فانه لما فرضت ضريبة المقابلة على الأهالي ، كان سلطان باشا أشد المعارضين لها ، لأنه كان يرى أنها تثقل كواهلهم ، على حين كان الرأي السائد عنها أنها تخفف عنهم أعباء ضرائب الاموال الأميرية .

فلما أمتنع سلطان باشا بادی الأمر عن تنفيذ الأوامر الصادرة إليه بشأن تحصيلها ، غضب عليه سمو الخديوى غضباً شديداً ، فلما مثل بين يديه قال سلطان باشا لسموه : « يا أفندينا إن هذه الضريبة فيها القضاء المبرم على الأهالي . . ولم يجد رحمه الله حرجاً من أن يصارحه بهذه الحقيقة المريرة . وهنا استشاط سموه غضباً ، وأمر بنفى سلطان باشا إلى السودان . . ولكن سرعان ما التمس اسماعيل باشا صديق « المفتش » العفو عنه : بتوسطه في الأمر . . وعاتب سلطان باشا وآخذه على موقفه وتعبته قائلاً : « هل تريد أن تمسك الماء ، وتعمل ، المستحيل . . إنك بذلك تضحي بمركزك عند الخديوى ، وفي نفس الوقت سوف تسرى الضريبة التي تعارضها . . فانك تكون بذلك نفخت في رماد ، وضحييت في غير ضرورة » ! . . فأجاب سلطان باشا :

— : « لك حق ! . . فلو أني أقدم حياتي فداء ويكون من وراء ذلك نفع عام للبلاد . . لكنت قدمتها عن طيب خاطر وأكون بذلك الفائز . أما والأمر كما تقول ، فأريك هو الصواب !! »

وفعلًا عفا الخديوى عنه ، وكلفه بتحصيل الضريبة . . بجـد ونشاط

بين سلطان باشا وشاهين باشا

ومن الأحداث التي حدثت لسلطان باشا في ذلك العهد، أن وقع بينه وبين المرحوم شاهين باشا ناظر الجهادية، الحرية والبحرية، والقصور، وقطاعة - وكان سمو الخديوي، لأمر ما قد أصدر الأمر بعزلهم من مناصبه، وتعيينه بوظيفة مأمور تشييل بالسلك الخيرية في السودان. ومن ثم نقل إلى وظيفة مفتش عموم شغالات بالمليا... وكان سلطان في ذلك الوقت حاكماً عاماً للصعيد: واسمه من الأقدم والاسماع. فعز على شاهين باشا - وكان وزيراً سابقاً - أن يكون مرفوعاً له فأخذ، يسعى لكيد: ونشر حوله المقترحات، إلى حد أن اختلق عليه لدى الجناح الخديوي أنه يعمل على أن يتدى بنفسه، وخديوياً على الصعيد، !



المرور له شاهين باشا

ولما علم بذلك سمعه غضب غضباً شديداً، مع أنه كان يخافه شك في صدق هذه الأكتوبة التي اختلقها شاهين باشا، ولكنه أمر بأبعاده إلى السودان. وقملاً سافر سلطان باشا إلى أسوان... لولا أن النبأ بلغ مع مع الوزراء الثلاثة مشاهير عصرهم، رياض باشا، وشریف باشا، ونوبار باشا، فتأثروا له، لوثقهم من برأيه، فراجعوا سمعه في الأمر... قائلين:



المرور له شريف باشا

- : يا أفندينا إن سلطان باشا رجل كله ولا، لستكم، ومن أبر أبناء مصر حباً لكم، ! ثم شرحوا تفاصيل هذه المقترحات التي روجها حاسد له - فلما تبين لسموه ذلك، لا سيما بعد أن توسط في الأمر، وولى العهد، المعفون له الخديوي توفيق - طيب الله ثراه - أصدر أمره السامي بالعفو عنه... ورجوع سلطان باشا بتدنت الغيوم، وتجلت الحقيقة، فأعيد إلى منصبه الرفيع ليواصل خدماته للعرش والبلاد أصدق ما يكون إقداماً، وأثبت جنداً!

ذكر ياتي عن اسماعيل خارج الحكم!

ولما تعقدت الأمور على أثر عجز الحكومة عن سدّاد أفساط الديون التي استدانها الخديوي لينفقها على الإصلاحات العمرانية في مصر، فذقت إنجلترا وفرنسا، وتم الاتفاق بينهما على تشكيل لجنة تحقيق، للبحث في العوامل التي أدت إلى اضطراب الأحوال المالية وسببت هذا العجز في عهد سداد الأقساط لأربابها، وكان من جراء ذلك أن

تألفت في مصر أول وزارة مختلطة رأسها نوبار باشا . وتولى الداخلية فيها رياض باشا والمعروف عن باشا مبارك والمالية . ريفورس ولس ، الإنجليزي والأشغال العمومية . ديلنير ولكن هذه الوزارة لم تعمر طويلا ،



المؤمر له الخديوي العظيم (اسماعيل باشا)

بعد حركة قام بها الجيش على أثر تأخيرها في سداد المرتبات له . فأقالها الخديوي . وقال : « إن الوزارة التي تهان لا يصح بقائها في كرسي الحكم » . وعهد إلى راعب باشا بتأليف وزارة وطنية . لم يطل عهدها . وترتب على ذلك ضرورة تنازل الخديوي اسماعيل عن العرش كطلب الدولتين (إنجلترا وفرنسا) من الباب العالي لضمان بقاء العرش في أجياله — وفعلا اتصلت الدولتان بالدولة العلية . وتم تنازله برضاها . وتولية أكبر أجياله خديويًا . وهو . الأمير توفيق . الذي نودي به على عرش مصر من بعده خديويًا !!

ولقد اتفق لي بعد ذلك . وكنت في مدينة . فيشي . إن قابلي درانيت باشا — أخرجني الخديوي اسماعيل وأبتدري قائلا : « إن أفندينا لاحظ وجودك هنا منذ أيام . واستغرب عدم زيارتك له » !

فلما أجمته بأنني صغير السن والمقام . وليس لي أن أكون من زواره . قال لي : — « إنه يسر جداً برؤيتك . وهو الذي أمرني بأن أهيئ اليك برغبته السامية . ثم حدد لي موعداً من الساعة الثانية إلى الساعة الخامسة . وكان سموه يسكن في « فيلا روز » أعلى « قصر الورد » !

فسمعت في اليوم التالي للحصول على طربوش . وتوجهت في الساعة الثانية تماماً إلى الدار التي يسكنها . وكنت أعرف أن أفندينا ذو لحية تركية . وشوارب متناسبة . على حسب ما كنت قد رأيته في مصر . . . فلما وصلت إلى « الفيلا » رأيت رجلاً جالساً على مقعد بياها شواره ممتدة . ولحيته كثرة مسترسلة . فدنوت منه وأبتدريته قائلاً : « اما على موعد لمقابلته أفندينا في هذه الساعة » ! فقال لي : « تعال معي وأنا أوصلك إليه » ! ثم وضع يده في يدي . ودخلنا صالوناً بالدار كان يوجد بها نفائس من الرياش تتوسطها أريكة صغيرة نخمة تسع شخصين فقال لي : « اجلس » . وجلس بجواري . . . وانتظر حتى يأتي أفندينا !!

وظفق يحدثني طويلا . وأحدثه عما يطلب . . . إلى أن قال : « أتي مسرور برؤيتك يا قلمي بك » ! فقلت : « أشكرك . . . هل حضرتك سكرتير أفندينا » ! فأجاب وهو يبتسم : « بل أنا هو » ! فلما اتمالك نفسي من الدهشة . لاذت وقفت في الحال ناهضاً وقلت : « استغفر الله يا مولاي !! » . ولكنه سرعان ما قال : « أتي مسرور جداً لهذه المناورة اللطيفة التي رفعت عن نفسي . . اجلس . . فاطعت أمره . . . ولكن الخجل قد تولاني لهذا العطف الكريم الذي غمرني به !!

وكان لطفه معي بالغاً حد الوصف : إلى حد انعقد معه لساني عن الشكر . وتفضل فوجه إلى الدعوة لتناول طعام الغداء معه في اليوم التالي . فقبلت هذا العطف باخذ والدعاء . وقبلت يده الكريمة . وانصرفت شاكرًا . . . !

عطفه على عظماء وطنه

وآخر ذكرياتي عن سموه في الخارج . ما شمل به سلطان باشا من الرعاية لإبان مرضه . حين كان يستشفى في

اوربا — وكنت ارافقه في هذه الرحلة — ونزلنا في خلالها بفندق . جولدن أسلام كوتيتال ، بفينا — وكان سموه نازلا به . ولما علم سموه بخبر قدومنا ، استدعاني ، واستفسر منى عن صحته ، فاوضحت اسمه وه انه حين علم بوجوده ، أسف لان يمنعه المرض عن التماس الخطوة بشرف المقابلة على فرط شغفه بذلك ... فقال لى سموه :
— افهمه ان لا يتعب خاطره .. فسوف احضر انا بنفسى لعيادته ، لاني أحب هذا الرجل الوطنى الذى خدم مصر . وخدم العرش خدمات عظيمة . وقل له : : ان الامثال خير من الأدب ، !
ولما ذهبت وعرضت الأمر على سلطان باشا خجل كثيراً من أن يتجشم سموه هذا التعب ، ولكننا ما نشعر الا وسموه داخلا علينا ، فكانت زيارة مؤثرة ... الى حد بكى معه سلطان باشا تحت ضغط العاطفة الكريمة التى جاشت فى الصدور ! ولما هجر سموه بالانصراف قال لى :
— : اسمى ياقلبنى بك على صحة الباشا وأرجو أن تأتبنى منك اخبار سارة عنه . وأرجو ان تصلا الى مصر سالمين ، !

الخلاصة

وجملة القول أن عصر اسماعيل هو عهد النهضة الحقيقية والتقدم العمرانى ، واغتنام الوسائل لرقى . وتثبيت دعائم النهضة القومية ، التى مهدت لأبناء الجيل الحاضر والاجيال القادمة الممكنة العالية التى يعملون لها . وينشدونها . ولهذا فسوف يبقى ابد الدهر عصرأ ذهبياً ساطعاً فى جبين الخلود — ولا شك أن الحوادث البارزة ، ومظاهر البذل والتضحيات ، التى اتسم بها ، كانت دليلا على الرغبة الحارة الصادقة التى تملأ نفس سمو الخديوى اسماعيل ، فى تشييد عظمة بلاده ، واجادها ، وفى خلق نزع الاصلاح والعمل فى صدور خلفائه العظام للعمل على احلال بلادهم المحل اللائق بها بين الأمم العظيمة — ولذلك سوف تبقى هذه المفاهيم فى تاريخ مصر الحديث رمزاً على يقظة الدولة ومقياسا لرقىها الصحيح على مدى الاجيال !



عصر المغفور له العاقل العادل محمد علي باشا الكبير منشئ مصر الحديثه ومؤسس الأسرة العلوية المجيدة

إن المغفور له محمد علي الكبير ، رأس الأسرة العلوية الكريمة . هو الذي خلق من مصر التي كانت قبل عهده ضعيفة . اضطلحت عليها العلل . ومشي الوهن في أنحائها . قوة سياسية . يحسب العالم حسابها . وتكامل بسيادتها سياسة إتحاد التوازن وحفظه بين الأمم . ومن أجل ذلك أجمع المؤرخون على تسميته « بنابليون أفريقيا »



المغفور له محمد علي باشا الكبير رأس الأسرة العلوية الكريمة

وهذه التسمية . ليس فيها أدنى مغالاة ! . . . فمن ينظر إلى خريطة مصر في عهده . وكيف امتد سلطانه شرقا وغربا . وإلى أي مدى وصلت جيوشه حتى قرعت أبواب « استانبول » ، بقيادة شبلة القند الفاتح « ابراهيم » . . . وإلى ما بلغ اليه « نابليون » . . . يعلم أنها تسمية في محلها ! . كان الأقدار التي اضطلحت على أن تنجب للعالم هذين البطلين في شهر واحد . وهو شهر (أغسطس) وفي سنة واحدة . هي سنة (١٧٦٩) . قد شامت أن تتماثل مواهبهما . وتجعل لهما في التاريخ نفس المكانة التي يتمتع بها كلاهما بغير أي تفاضل لاحدهما أو تمييز !

وهذه المصادفة العجيبة . لا تجد لهما في الأمم نظائر كثيرة ! . . . فإذا كان الشرق منبت « محمد علي » فقد كان

الغرب قبلته ! . . . وإذا كان الغرب منبت « نابليون » فقد كان الشرق على الدوام قبلته ! وهذه المشابهة بين البطلين . والحاكمين . والقائدين كانت تتلجج منها الصدر وتبعث فيهما الارتياح والفخر ! وكانت البيئة التي نشأ فيها كل منهما . والوسيلة التي برزت بها مواهبهما واحدة . فكلاهما كان عصامي النشأة . وكلاهما كان جنديا . وكلاهما بلغ إلى مناصب الحكم . وكتب في صفحات التاريخ أنصع الآيات باعتماده على نفسه في بلوغه إلى ذروة المجد !

وفد « محمد علي » إلى مصر . في الحملة التركية التي جاءت لتجدة أهلها من حكم الفرنسيين ولم يلبث أن لمح بذلك أنه العناية الإلهية تعدد لدور خطير في الحياة العامة . فعمل على أن يستعين بأخوانه من الجنود الألبانيين الذين حضر وا معه إلى مصر في تحقيق أغراضه . إذ قضى بواسطتهم على عوامل الفوضى التي كانت متفشية في كل ناحية حتى شملت مرافق الحياة . وجعلت من أهل مصر فريسة سهلة لأمرام المماليك . وولاة الترك . الذين لم

يكونوا يهتمهم من أمرهم إلا الاستغلال بشئ الوسائل . وكانت نتيجة جهوده الأولى . وهو اصلته العمل لانقاذ مصر من هذه المظالم . أن يعقد رأى الشعب على تنصيبه واليا عليهم بموافقة الباب العالي . فأقر العدل بينهم ، وأفاض الكثير في حبهم . بما بذل من عنايته بهم وبتحقيق مبادئ العدالة فيهم وتوزيع الخير عليهم !

وليس من . يب . في أن قيام محمد علي ، يمثل هذه المهمة . لم تكن سهلة . يمكن تحقيقها في يسر . بدون تضحيات ، أو غير إرافة الدماء . ذلك لأن الصعاب كانت تعترضه في كل خطوة من خطواته . سواء في رغبته الإصلاحية . أو في نزخته الاستقلالية ، التي كان يتوق إليها . لاسيما فيما يتصل بتقوية مرافق البلاد وتعميرها ، حتى تبارى الأمم الرافية . أو في تنظيم الجيش المصرى طبقا للنظم الحديثة ليستعين بهذه وتلك على إيجاد روح وطنية تحقق استقلال البلاد .

ولكن رجلا له مثل الشجاعة الفائقة التي عرف بها هذا الوالى العظيم . لم يعجزه أن يتدبر بالايمن ، والحكمة . على التغلب على هذه الصعاب . وعلى ترويض أرادة الشعب وتوجيه قواه العامة لتوطيد مستقبلهم المأمول ! واستطاع محمد علي . أن يحقق كل آماله . فسار سيرا متزا وتبدأ في إحاطة إصلاحاته بسياس من التنظيم ، فبعث الثقة في نفوس الشعب . ووثق أواصر الاتحاد بين طبقة تارة مختلفة . فيكون الجيش من أبناء البلاد المصريين ولما رأى أن طائفة المالميك غير مرتاحين إلى ذلك — وكأوا فئة عسكرية خطيرة — لم يجد مناصاً من معاملتهم بالقسوة . دأ لشروهم على البلاد . ففضى عليهم خلصة . والمؤرخون المنتصفون . وجدوا ما يبرر قتل مثل هؤلاء في الأحداث التاريخية السابقة لأن وجودهم كان يتنافر مع الغايات التي يتشدها المصلحون من قواد الأمم . وبناء مجدها . تحقياً لخير الشعب . إذ كانوا يؤلفون ببقائهم على قيد الحياة . سلطة تماثل سلطة حكومة . داخل نطاق الحكومة ولا يمكن أن ينكر أحد الفضل العميم الذي افتتحه المغفور له محمد علي باشا الكبير في توثيق العلاقات السياسية والروحية إلى جانب المادية — بين مصر والسودان ، تنويعاً منه لهذه الصلة الطبيعية القوية التي هيأتها بينهما الطبيعة من أبعد العصور .

حين رأى محمد علي في غمرة غزواته المنتصرة أن يؤمن حدوده الجنوبية : بتوطيد الحكم المصرى . في السودان . قام في الوقت نفسه باتفاق الأموال الطائلة في تحقيق الإصلاحات الجسة . والعمل على تنظيم شئون الإدارة . وتيسير سبل النقل والمواصلات ونشر الأمن والسلام بين ربوعه : وإدخال صنوف كثيرة من الزراعة المنتجة فيها كالخوب . والقواك . رغبة في العمل على رفاهية الأهلين . ولم يرض رحمه الله بمال مهما عن في سبيل النهوض بمرافق الحياة في السودان ولعل في ذلك غنية عن كل تفصيل : وتأكيذاً للروابط بين المصريين وإخوانهم السودانيين في ظلال عرش مصر المقدس !

وأعظم دليل على أن السودان . منذ ذلك العهد أعتبر جزء من مصر . وإن أهله كانوا متساوين في الحقوق مع أهل مصر . هو منحهم ذات الحقوق القومية . والسياسية في أول دستور صدر بمصر في عهد إسماعيل سنة ١٨٧٩ في انتخاب من يمثلونهم في البرلمان .



إبراهيم باشا القائد العظيم

ولما استتب الأمر له . بدأ يتوسع في الإصلاحات الداخلية . فأنشأ القناطر الخيرية والقلمة . وعمل على تنسيق الجمود بين مرافق البلاد سواء في الميادين الصناعية أو التجارية أو الزراعية أو الاقتصادية . إذ وزع الأراضي على الزراع والفلاحين . واستحدث في البلاد أساليب الزراعة الحديثة . وأدخل فيها المحاصيل المثمرة التي تزيد الثروة العامة وفي مقدمتها القطن ، وشيد أسطولا تجارياً ضخماً كان يجوب البحار . ويغمر أسواق البلاد المجاورة بصادرات مصر ، وأنشأ في كل عاصمة مديرية قابريقة اصنع الأقمشة والطرابيش

وأما حروبه . فقد انتهت فيها المعارك بالظفر والفوز المبين للجيش المصري المعهود لواؤه للقائد العظيم . إبراهيم باشا . . . حتى لقد أمتدت فتوحاته فشملت سوريا ، وأطنه والسودان وبلاد العرب وشبه جزيرة المنورة . حتى بلغت إلى أبواب استانبول !

وكان محمد علي يكثر من إرسال البعث إلى أوروبا في كل فن ، فاستفادت البلاد في كل ناحية بما حصلوه من ألوان المعارف بعد رجوعهم إليها ، حتى لقد هال أمم أوروبا ، عندما ارتفع شأن مصر ، وذاع صيتها في أنحاء العام . ما بلغت إليه من القوة والسيادة ، والتقدم الاقتصادي والتقدم الحديث في مرافقها الحيوية .

ولقد نحا محمد علي في كل أغراضه من الجهاد ، إلى تقرير الاستقلال السياسي للبلاد ، مع أنه كان يبدو قبل ذلك ضرباً من المستحيل . وله قول عظيم في هذا الشأن وهو : « إن ما شيدته في مصر من مظاهر القوة والمرافق الحيوية طول سني حياتي ، مما كلف البلاد أموالاً طائلة أففقت على تدعيم دور الصناعة والمعاهد التعليمية ، والأسطول ، لا يمكن أن أتركه تحت رحمة الباب العالي . . . لأن قلبي ينفطر حزناً ، كلما فكرت في أن ثمة أتعاب ، ونتيجة جهودى مصيرها إلى الفناء ... أو كلما تخيلت أن أولادى ، وبلادى العزيزة تكون بعد موتى رهن مشيئة الغير ، بمن لا يهتمون أو يحرصون على مصالحها !! »

فهذه الجوانب العظيمة من حياة مؤسس الأسرة العلوية ، ومنشئ مصر الحديثة . تدلنا إلى أى حد حقق للبلاد استقلالها الداخلى بعد أن كان مضيعاً ، وكيف حفظ على الشعب كرامته وقوميته ، بعد أن كانت مهدورة ، وكيف عمل على ترقية مرافقها العامة ، بعد أن كانت مهملة ، وثروتها الأهلية ، بعد أن كانت مبددة ... على الرغم من أن أمم أوروبا كانت تقف في وجهه في كل خطواته ، مما يظهر مقدار الجهد الذى بذله في تحقيق أغراضه السامية ... التى يعمل خلفاؤه وأشباهه اليوم على استكمالها بالحزم . وحسن السياسة ، والسعى المتواصل والتضحية للصالح العام ! رحمه الله عداد ما أحسن إلى مصر وأهلها . وجعل لنا في حفيده مولانا جلالة الفاروق خير خلف . لتحقيق ما نصبو إليه من آمال كبار ، ومجد عظيم !!



كلمته...

للأستاذ سلامه موسى

• رأينا أن نهدد بالكلمة التالية لإيراد باب الاقتراحات :

• هذه المقالات أو الاقتراحات التالية تبدو للقارىء كأنها تعالج موضوعات مختلفة وكأنها ليست بينها رابطة . ولكنه إذا تأمل قليلا وجد الصلة العضوية بينها جميعا . فان المؤلف كبير الاهتمام بشئون مصر الاقتصادية والاجتماعية كما هو كثير الالتفات لعظماؤها الذين نالوا عظمتهم بخدمةها . فهو لا يخل بالاشادة بهم والتنويه بذكرهم وشرح مآثرهم .

• وقد تولى صاحب السعادة قلبنى فهمى باشا مناصب كبرى في الدولة وعرف عهد اسماعيل العظيم ومن جاءوا بعده . وقد أتاح له عمره الطويل - أطاله الله أعواما كثيرة - بأن يقف على التفاصيل التي يجهد بها الجمهور من تاريخنا . كما أتاح له خبرته الاقتصادية والزراعية بأن يدرس مشكلاتنا الاجتماعية التي تعود في الأساس إلى مشكلات اقتصادية . فانه مزارع كبير قد خبر الزراعة المصرية في أيام سعودها وأيام نحوسها . ولذلك فانه حين يصف الدواء إنما يفعل ذلك عن تجارب واختبارات قد مارسها بنفسه ووقف منها على المفيد الناجع .

• وكثير مما يكتب في الجرائد عن شئوننا الاقتصادية لا يبدو أن يكون في الأغلب نظريات أو آراء مرتجلة لم نحصها التجربة أو لم تحتصر بالروية والدرس . ولكن اقتراحات المؤلف هي ثمرة الدرس والعمل معاً . ومن هنا قيمتها الكبرى لرجال الحكومة ولجميع من يدرسون شئوننا الزراعية والمالية والاقتصادية . وأولئك الذين استمعوا بحديث قلبنى باشا وأنصتوا إلى آرائه في مشكلاتنا وسمعوا ذكرياته عن السياسة المصرية وتقلباتها قد وجدوا فيه معلماً منيراً يكشف عن كثير من خفايا التاريخ المصري لمصر كما يشرح الكثير من الحلول التي يمكن الأخذ بها للخروج من المأزق الاقتصادية المتوالية التي تقع فيها . وهو كتاب جدير بوزارة المعارف أن تدرسه لتلاميذها لانه يحوى تاريخ بلادهم وأعمال ملوكهم .

• وهذا الكتاب يجب أن يقرأ بعناية وتدبر . فان المؤلف ينظر النظرة العامة ويرى الأصول التي يميز بينها وبين الفصول . وقد انتفع برحلاته المتكررة لأوروبا فهو حين يعالج شيئاً من الحضارة المصرية فاما يقلبها من معينها ويميز بين غناها وثمينها . ويستطيع لذلك أن يشير علينا منها بما يلائم البيئة المصرية ولا يصطدم مع عاداتنا ومزاجنا القومى .

• وقد وقف المؤلف معظم ممتلكاته على البر . وهو هنا قد وقف ذهنه ونشاطه على النصيحة المفيدة

لبنى وطنه .

« سلامه موسى »

بنك التسليف الزراعى المصرى

كيف أنشئ والمراحل التى مر بها إلى يوم تأسيسه ؟ !

فى سنة ١٩٠٧ ، حلت بالبلاد المصرية أزمة شديدة الوطأة ، فشدت الخناق على رقاب العباد ، وأزعجت سائر البيوت المالية فى البلاد .

ولما كانت البنوك فى مصر ، ما هى إلا فروع لأصول بأوروبا ، فقد تلقت هذه البنوك أوامر صريحة أنه فى مثل هذه الظروف الاستثنائية ، لا يصح فتح أبوابها واستمرار التعامل بها قبل أن تنجلي الحالة عن استقرار وطيد ... فترتب على منعها التعامل مع الناس ان اشتدت وطأة الأزمة ، وتضاعفت أخطارها . وأخذ الضيق فى التفاقم ، وبدأت البنوك ، التى لها فى ذمة عملائها طلبات تلح بضرورة الاسراع فى سدادها - واتخذت الوسائل لنزع الملكيات وكان من جراء ذلك أن ربحت سوق المربين بحال لا يتصورها العقل ...

وبعد ذلك صارت الاحوال تارة إلى التحسن النسبى . وطوراً إلى تدعيم الثقة المالية ، حتى كانت سنة ١٩١٢ . إذ فى غضونهما هجمت على البلاد ضائقة أخرى كانت أشد وطأة من الاولى .

فدعانى هذا كله ، الى التفكير طويلا ، وأمعت فى البحث كثيراً - فعلى ضوء أبحاثى المتعددة ، أهديت بحمد الله الى أن العلاج الحاسم لافالة البلاد من مثل هذه الأزمات الخطيرة هو تأسيس مصرف وطنى حكومى للبلاد ، يكون أمره منه واليه .

وهذا وحده تنوёл إلى تفريج الضيق عند اشتداده ، ويتولى ذلك البنك العمل على كل ما يؤدى إلى مساعدة الفلاحين ، وتوفير ما يحتاجون اليه من مختلف المطالب التى تتصل بالزراعة والصناعة .

ولقد رفعت اقتراحاً فى هذا الشأن لولاة الأمور وجاهدت زهاء ٢٥ سنة من الزمان كاملة غير منقوصة - حتى تم للبلاد انشاء بنك التسليف الزراعى المصرى ، - بفضل المعاونة العظيمة التى أحاط بها المغفور له حسين رشدى باشا هذا لاقتراح ، حين كان رئيساً لمجلس الشيوخ فبو الذى تولى عرضه على هيئة المجلس الموقرة فلقى من جميع الاعضاء كل تعضيد وتأيد ...

ولا يستطيع أحد أن ينكر ما أداه البنك للأمة من الخدمات ، فكلها مذكورة ومعروفة لكل الزراع والملاك من جميع الطبقات . وقد أصبحت فروعه المنتشرة فى العواصم والمراكز والاقاليم - تؤدى جميعاً لأفراد الأمة على اختلافهم احتياجانهم ولوازمهم . وتفرج كربتهم فى الاوقات الحرجة وتسعد نفوسهم فى الازمات المستحكمة ولولا وجوده لحلت بالبلاد ضروب النكبات التى تهددها بالافلاس الذريع عند حلول الضائقات !

فهذا البنك ييسر للزراع الحصول على كل ما يحتاجونه من السلف الزراعية ، والآلات الزراعية ، ونفقات الانتاج فضلا عن توفير جميع أنواع البذور والأسمدة والتقاوى والآلات الزراعية التى لها من الاهمية المرتبة الاولى لدى كل الزراع !

ولا يجدر بى فى هذا المقام أن أغفل جهد الذين آزرونى وأيدونى فى تحقيق مشروعى هذا ، وساعدونى على ابرازه الى حيز الوجود بمن كان لهم أثر محمود فى تنشيط جهودى ، وتقوية عزيمتى وهم المغفور له محمد محمود باشا

.. طيب الله ثراه - واسماعيل صدق باشا ومكرم عبيد باشا - أطال الله حياتهما . ويكفي بياناً لخدماته ما ورد عنه في مشروع ميزانية الدولة هذا العام

هذه هي المراحل التي مر بها بنك التسليف الزراعى . منذ أن كان أمانة اختلجت بها نفسى ، الى أن كلل الله جهودى بالنجاح . فاصبح حقيقة من الحقائق التي يعم خيرها العالمين جميعاً ، رأيت أن أذكرها لتكون عنواناً على قوة العزيمة لما لاقيته في سبيله من الصعاب ...

مشكلة الديون العقارية ..

والوسائل التي تسكفل حلها ١٩

لما لا جدال فيه أن حياة مصر تنحصر في زراعتها - لان بلادنا زراعية : والزراعة هي عماد ثروتها القومية ، ومن بواعث الاسف الشديد أن تصبح أراضي البلاد مرهونة ، معظمها للبنوك والشركات الأجنبية ، وإذن فشكلة الديون العقارية ، هي قضية البلاد الداخلية لانها أخطر مشكلتنا القومية شأنناً وأشغلتها للعقول والأفكار في الأمة .

ذلك لأن الديون العقارية التي ترتب عليها رهن أراضي البلاد المصرية للبنوك والشركات حتى أصبح لها بموجب هذا الرهن حق التصرف فيها بنزع ملكيتها من أربابها وخروجها من أيدي ملاكها وأصحابها - مما حول لها سلطة تعادل سلطة حكومة داخل الحكومة هي من الامور الخطيرة التي تجعل لعلاجها أهمية كبرى . ومنزلة فوق كل منزلة - اذ كيف يكون الحال اذا تجردت البلاد من أملاكها وأصبحت عقاراتها وأراضيها مملوكة للشركات والبنوك الأجنبية ؟

لهذا رأيت أن أذكر تاريخ هذه المشكلة في سطور قلائل وطريقة علاجها لان عجز الملاك عن القيام بجميع التزاماتهم للبنوك معناه إقدام هذه البنوك على نزع ملكيتهم تسديداً للاقساط المطلوبة منهم . وتقديراً للعواقب السيئة المترتبة على تقادم هذه الحالة فقد ناديت منذ سنة ١٩١٣ بالعلاج الحاسم لهذه المشكلة . درأ للأخطار الوخيمة التي تتجم للبلاد عن اهمال إيجاد الحل الموافق لها وكان المشروع الذي وضعته يتضمن ما يأتي :

أولاً : تخفيض الفائدة الى ٤ في المائة فقط مع عدم احتساب فوائد مركبة .

ثانياً : ضرورة قيام الحكومة بدفع القسط السنوي عن المدينين للبنوك ، في مقابل تحصيلها من الامنين مع اقساط الاموال الأميرية

ثالثاً : تستطيع الحكومة أن تعقد قرضاً وطنياً بقيمة ديون البنوك الأجنبية ، قدسده به مطلوبات هذه البنوك بأكملها ، وتحل هي محلها وهي لا تزيد عن ٣٠ مليون جنيه - وبذلك تصبح الثروة القومية في يدها . ويفدو الأهلون مدينين لها ، بدلا من أن يكونوا مدينين للبنوك الأجنبية . ومن غير ريب تعتبر هذه الخطوة العملية . أولى الخطوات في سبيل الاستقلال الاقتصادى وهذه وسيلة لامتناع تضخم النقد ، وفيها الخير للبلاد

رابعاً : تازل البنوك عن ٢٥ في المائة من ديونها قبل الاهلاك في نظير الفوائد الباهظة المركبة التي تقاضتها

منهم في السنوات الماضية وهذا ليس بكثير إذا علم أن السلفة التي يكون قوامها ٤٠ ألف جنيه على أساس ٦ في المائة تصبح في مدى ٤٠ سنة مع فوائدها المراكمة ٢٥٠ ألف جنيه ..

والخلاصة مما تقدم أنه إذا تم تنفيذ هذا المشروع ، فيمكن به أن تصان الثروة العقارية من الضياع والانهب ، ويكون اشراف الحكومة على تحقيق هذا الاقتراح كفيلاً بنجاحه ، وهي مع عدم تكبدها أية خسارة فيه لا تكون الا وسيطة في الأمر — ولهذا الأمر سابقة ، إذ من هذا القبيل ما حدث عند تولى الخديوى العظيم المغفور له اسماعيل عرش مصر . إذ أمر بحصر جميع ديون البلاد ، وأمر بأن تقوم الحكومة بسدادها ، حتى لا يكون أهلوها ومرافقها مستعبدة تحت السيطرة الأجنبية ، وقد خدم بذلك البلاد وأهلها أجل الخدمات .

ولقد حققت الحكومة جانباً من هذا الاقتراح ، فيما يتعلق بتخفيض الفائدة ثم نهجت في حل مشكلة الديون العقارية نهجاً لا يتناولها من صميمها ، بل من أطرافها إذا اكتفت بتسوية جزئية لبعض طبقات المدينين ، ولكن الرأي عندنا أنه إذا أريد حل هذه المشكلة حلاً كاملاً ، بغير تمييز بين المدينين لتخليص البلاد منها نهائياً ، فعلى الحكومة أن تنفذ هذا الاقتراح فيكون في ذلك خير البلاد .

صيانة الامن العام في القرى والمدن

لعل مسألة الامن العام ، من أمهات المسائل الحيوية التي يجدر الاهتمام بها اشد ارباطها بالأرواح ، والأموال إذ أن عليها يتوقف عمران البلاد . فالامن لا ترقى إلا في ظل الطمأنينة ، وانتشار لواء السكينة على جميع أركانها .

ومن أجل ذلك نجد جميع الحكومات في الأقطار المختلفة تتحد وتعمل بجهد ، وبكل مالهيا من قوة في تحقيق مبادئ الامن العام . فلا تقف عند حد قانون تخرجه لقومها . ولا تقنع بلائحة تنشر بنودها ، بل هي تسير طبقاً لما يطرأ من النظم الحديثة ، متمشية مع الظروف والأحوال التي تسود البلاد .

ومن يقرأ التقارير المفصلة لبيان الجرائم التي ترتكب في بلادنا في كل عام ، يمكنه أن يجد فيها وثائق اجتماعية من الميسور أن تنتفع بها في تعيين بعض ضروب الإصلاح في أحوال الامن العام عندنا .

فعندنا مثلاً جرائم لا نجد لها مثيلاً في غير بلادنا . مثال ذلك جرائم بسبب الثأر . وجرائم بسبب الضغائن العائلية وجرائم سرقات الحقول . والشروع في القتل العمد من أجلها . وأمثالها كثير مما يصح أن نسميه « جرائم شرعية » .

ولقد توفرت منذ زمن طويل على دراسة مسألة الامن العام ، وتبينت أن العلاج الوحيد لها — وهو وليد البحث والتجربة — لا يمكن أن يكون إلا عن طريق استبدال الفلاحين في القرى وفي المدن ، بعساكر — سواء أكانوا من الجيش أم من الريف — على شرط أن يكونوا تحت اشراف ضباط عسكريين . بحيث تعتبر خدمتهم عسكرية بحثة .

ذلك لأن عقلية أهالي البلاد ، أصبحت تنفاوت الآن تفاوفاً كلياً عن الأزمنة الماضية . وقد أظهرت أحوالنا الحاضرة ذلك جلياً . وأذن فإن الأنظمة القديمة التي لا يزال معمولاً بها في القرى والمدن ، لم تعد تتفق مع

الظروف الأرائنة ، فيما يتعلق بالأمن وصيانه . والحفاظة على المراقب العامة والخاصة بها من الشرور واطار الجرائم ... !

والدليل على ذلك ، أننا إذا بحثنا بحثاً دقيقاً لمعرفة القائمين بحراسة الأمن وحفظه ، وجدناهم عمالاً لا حصر لهم ، من رجال وزارة الداخلية ، بما يتبعها من ادارة الأمن العام . والبوليس ، ومن موظفي النيابات ومديرى الأقاليم ، ومحافظى المدن وسائر من يليهم من الحكام والعمد ومشايخ البلاد !! وهذا الجيش العظيم من جميع هذه الطبقات إنما هو فى وظيفة المشرف على القائمين عملياً بحراسة الأمن وصونه ، وهم فى حقيقة الواقع ، خفراء البلاد .

فاذا فهمنا ذلك حق الفهم ، علمنا أن الخفراء ، وهم فى الأصل من الفلاحين المزارعين ، بحسب أعمالهم الطبيعية يشتغلون فى مزارعهم بالنهار ، وفى الليل يزاولون أعمال الحراسة . كخفراء ، - وليس من المعقول أصلاً أن قواهم البشرية تمكنهم من قضاء بياض النهار فى الجهد والتعب ، ثم مواصلة السهر حتى الصباح - وأذن فتكون النتيجة أن الأمن العام يكون مجرداً من الحفظة . ومتروكاً للمقادير !!

وهذا هو سبب ما نسمع . ونرى ، ونقرأ فى كل يوم من حوادث القتل والسلب والنهب . مما يجعل الراحة مسلوبة . والأموال والأرواح مهددة على الدوام !!

ومن المحقق أن الابقاء على نظام الخفراء بوضعه الحالى ، لا يتفق مع العهد الحاضر ، لأنه عديم النفع . فاذا أريد علاج حاسم : وجب كما قلنا جعل خدمة الخفراء بالبلاد ، خدمة عسكرية بحتة ، وما يجزى الآن من الأهلى لضريبة الخفر ، يخصص لتسديد مرتبات هذه الهيئة العسكرية الجديدة مع تعديل يسير فى الميزانية إذ يجب أن يكون مرتب كل فرد فيها معقولاً بحيث يكفيه هو وأولاده كل ضروريات الحياة !!

فاذا كنا نميل إلى عمل سريع حاسم فى هذه المسألة الخطيرة . وجب أن نعم نظام استبدال الخفراء بعساكر كما بينا - أما الاعتماد على القائمين بغير ذلك ، فإنه لا يفيد فى محاربة الجرائم ، وارهاب اللصوص والقتلة ، ونشر لواء السكينة واستتب الأمن والنظام !

وإلى أعتقد أنه من الممكن استخدام بعض فرق من الجيش فى هذه المهمة الحيوية . ذلك لأن وجود جنود الجيش فى البلاد التى يضطرب فيها جبل الأمن . ويختل النظام . فيه خير ضامن لإعادة الأمور إلى طبيعتها . واستقرار الاحوال . وهذه الوسيلة يستتب الأمن ، وتنقطع الحوادث والجرائم ، إلى درجة تطهئ إليها النفوس

مشكلة المتعلمين العاطلين

وكيف يمكن تفريجها ؟ !

تشكو البلاد شكوى مرة ، من كثرة العاطلين بين شبابها المتعلمين . ذلك لأن المدارس - على اختلاف أنواعها - من عالية وثانوية ومتوسطة ، تخرج عدة آلاف من حملة الشهادات سنوياً . ووظائف الحكومة لم تعد تتسع لهم ، فضلاً عن أن وظائف البنوك والشركات لا يمكنها أن تستوعبهم . ولهذا فأتى أذكر أنى سبق أن تقدمت باقتراح ،

سبق لوزارة التجارة والصناعة . - أيام أن كانت مصلحة - أن تناولته بالدرس والبحث لما فيه من الحلول الموقفة التي تقضى في النهاية إلى تفرغ هذه المشكلة الخطيرة .

وخلاصة هذا الرأي هو أن تهضر الحكومة بتوزيع بعض أراضيها على خريجي مدارس الزراعة - أي . الاقطاعات الزراعية ، ايشغلوا فيها ، لاستثمار مواهبهم كسباً لأرزاقهم - بعد أن لم يبق في دواوين الحكومة وظائف يشغلونها : وهذا العمل حين يعمم يبعث على النشاط ويثبت روح التنافس بين طوائف الشباب ويعودهم على الجد والاقدام ويكون مبدأ طيباً لاشتغالهم في ميادين الأعمال الحرة . . . !

ولأضمن نجاح عملهم وأصونه بما يكفل سلامته ، اقترحت أن تؤلف من هؤلاء المتعلمين ، شركات صغيرة ، قوامها اثني عشر فرداً منهم حتى يكون في تضافرهم وتجانس القوى بينهم . ما يكفل لهم التوفيق والنجاح في عملهم - على أن تراعى الحكومة من جانبها تيسير أعمالهم وتخفيف عبء المسؤولية عنهم وهم في مستهل حياتهم العملية . واقترحت كذلك فيما يتعلق بخريجي المدارس الصناعية والتجارية - تقريباً لازمة العطلة الفاشية بينهم - ولتشجيعهم على الأعمال الحرة . أن تمد الحكومة كل فرد منهم بسلفية لا تتجاوز مائة جنيه كـ رأس مال يغامر به في الحياة معتمداً على ذكائه وتجاربه وأن تترك له حرية اختيار العمل الذي تؤهله له مواهبه وتزكيه لمزاوئله طبيعته ، ثم يضادف هذا المبلغ لسكل من يبدى منهم نشاطاً واستعداداً حسناً .

والغرض الذي قصده بهذا الاقتراح هو أن لا يكون هذا الجيش الجرار من الشباب المثقف المتعلم عالة على الحكومة والبلاد - ولا سيما أنه يتكاثر عاماً بعد عام . فمن الخطر المجهول العواقب أن يترك هؤلاء المتعلمون يقضون زهرة أعمارهم وأنصر أيامهم يعانون أهوال البطالة ويكابدون آلامها من دون نأخذ بيدهم ونعاونهم وننير أمامهم سبل الحياة بضوء الأمل . . . !

ويسرني أن الحكومة قد نفذت الشطر الأول من هذا الاقتراح الخاص . بالاقطاعات الزراعية ، على نحو ما ذكرت - ولو أنها لم تتوسع فيها . ولا ريب أن كل إنسان في مصر يشعر بالارتياح لهذا الاتجاه الحميد الذي بدأ الشباب المتعلمون بهجونه بالاقبال على العمل الحر . . . !

وبارك الله في شباب تدفعه غيرته وتحفزه أطماعه الكبار إلى أن لا يجعل الوظائف الآلية ، غاية أمانه ومنتهى ما يبتغيه ، ولا يعول عليها كل التعويل ، ويجعل المستقبل رهناً كما كان في سالف الأزمان .

وتحسن الحكومة إن هي تابعت هذه الجهود التي بذلتها لخريجي الزراعة فجعلتها تشمل خريجي مدارس الصناعة والتجارة . وتعالج مشكلتهما على نحو ما أشرت إليه في الاقتراح فيما يختص بالسلف . واعتقادي أن الحكومة تسدئ للبلاد أجل الخدمات لاستخدامها هذه الأيدي التي يمنعها التعطل عن أن تساهم في بناء مجد الوطن العالی وصرحه المتين .

تنويع أصناف المحاصيل الزراعية

وإنشاء الصناعات القطنية

ليس في مصر ، من لم يدرك خطر الاعتماد على محصول واحد في الزراعة . ولا سيما في هذه الأيام . التي كثرت فيها الدعوة وتعالى الأصوات يحض الأهلين من أهل الزراعة ، بالاكثار من زراعة قصب السكر .

لأنه محصول رئيسي آخر ، يحمل أن ينهض في البلاد . ليكون له بعض مقام القطن . ومكانته في الانتاج - وحين تتحقق هذه الدعوة ، على صورة أشمل وأعم ، مما هو حاصل الآن . تتعدد في البلاد المحصولات الرئيسية ، فتسلم الأمة من عواقب الاعتماد على محصول واحد ، إذا انهارت أسعاره . أو أصاب سوقه كساد !

إن الزراعة اليوم وفي المستقبل - كما كانت في الماضي - سيكون لها على الدوام المجال الأول في الاقتصاد المصري . وإنها اليوم ، إذا قيسَت بما هي عليه في البلاد الأخرى . تعتبر في أوج قوتها . وأعتقد أننا آخذون اليوم في الانتقال بها من عهد ، المحراث ، و ، التورج ، إلى إدخال الآلات الحديثة التي يستعملها المزارعون في أوروبا ، وأمريكا . وعند ذلك ندخر جهوداً طائلة . وأوقات ثمينة لا تقدر بمال . وقد يقول قائل أن إدخال الآلات في الزراعة يستتبعه في العمل في الحقول ، الاستغناء عن الأيدي العاملة . ولكن الحقيقة غير ذلك ، لأننا حين نعمل على تحسين وسائل الري والصرف ، ونستصلح الأراضي البور . التي تشغل مساحات واسعة ، نجد فيها الأيدي العاملة مجالا للعمل ، ولا سيما تلك الأيدي التي قد أجبرتها نهاية الحرب على التعطيل !

فإذا كانت الزراعة ستظل مستحوذة على الجانب الأكبر من محيط اقتصادياتنا . فيجب إذن أن نعمل على تنويع محصولاتنا الرئيسية . ولقد فكرت طويلاً ، فوجدت أن خير المحصولات التي تصلح للنمو في تربتنا هي : قصب السكر والكتان ، وهما محصولان عظيمان . رأيت أن السبيل لانتشار زراعة المحصول الأول على الخصوص وتعميمه في الأقاليم الوسطى - وهي المنطقة التي كان يزرع فيها قصب السكر ، أيام الدائرة السنية - تحقيق ما يأتي :-
أولاً : أن نعمل الحكومة على إضافة نصيبها الذي تتقاضاه من شركة السكر إلى أسعار القصب الحالية . حتى يكون ذلك مشجعاً للزراع على الاستعاضة به على الاعتماد الكلي على زراعة القطن . ذلك لأن الحكومة تتقاضى زهاء ثلاثة ملايين من الجنيهات رسوماً من غير مبرر . والرسوم في الواقع ما جعلت إلا لتؤخذ على إيرادات من الخارج - كما هو الحال في فرض الرسوم الجمركية لحماية الانتاج المحلي من منافسة البضائع الأجنبية . وليس على منتجات البلاد ، وإلا ترتب على ذلك فرض رسوم جمركية على كل الحاصلات الزراعية ... !

ثانياً : إنشاء فابريقة أخرى لعصير القصب في منطقة تتوسط الأقاليم القبلية التي يكثر فيها زراعة القصب لتنهض إلى جانب فابريقة أبي قرقاص بعصيره - حتى لا يمتد أوان عصيره إلى ضيعى المدة التي كانت مقررة له كما هو حادث الآن - مما سبب للمزارعين والملاك خسائر فداحة . إذ كلما تأخر عصير القصب عن منتصف شهر مارس تقل حلاوته . ويفرغ قلبه . وينقص وزنه ويخور - الأمر الذي سبب الكثير من المناعب للمتعمدي القصب . وإذا ترك لي الاختيار للسكان الذي تنشئ فيه الفابريقة . أفعلت أن خير منطقة تصلح لإنشائها هي منطقة مغاغة . . . فيكون من اختصاص فابريقة أبي قرقاص عصير قصب الروضة وملوى وأبي قرقاص والمنيا ومعصرة سمالوط . ويكون من اختصاص فابريقة مغاغة عصير قصب مغاغة وبني مزار وأبا الوقف والفشن وبيسا ومطاي وفي هذه الحالة تعمل الحكومة على إصدار كميات كبيرة من السكر إلى الأقطار الشقيقة . وإلى البلدان الأجنبية التي يشتد حاجتها إليه . مع تحملها في هذا السبيل بعض التضحيات كما تفعل الحكومات الأجنبية في بعض محصولاتها الرئيسية .

وبذلك يستفيد المنتجون . وتنمو ثروة الأمة في مجموعها . ولا تعرض محصولاتها الرئيسية لأخطاط أسعارها كما حدث في كثير من الظروف الماضية .

هذا فيما يتعلق بالقصب . أما فيما يتعلق بالسكان ، فأنى أرى أنه محصول عظيم من المحاصيل الرئيسية . ومن رأتى أنه يجب علينا العمل على تعميم إنشاء منازل له هو والقطن أيضا . وهذه المسائل أشير إليها هنا إشارة سريعة بغير أن أتوسع في بسطها . لأنها وضحت للعيان وضوح الشمس في رابعة النهار ، وكادت تلمس بالأيدي .

وأعتقد أنه حين تكثر في جميع أنحاء البلاد المصرية مصانع عملية للغزل - سواء أكانت للقطن أو للسكان - وتكون مدعمة برؤوس أموال مصرية ، فإن النتائج التي تسفر عنها . يمكن تلخيصها فيما يأتى :

أولا : مكافأة البطالة باستخدام أكبر عدد ممكن من العاطلين والأيدي المتبلة .

ثانياً : احتفاظ المحاصيل القطنية بأسعارها المشرفة في كل الأحوال وفي جميع الظروف ، فينتج عن ذلك ثبات ميزانية الزراع - حيث تسلم من تأثير هبوط الأسعار وانخفاضها - فضلا عن انقاذهم من براثن المرايين ، وطمع بعض التجار .

ثالثاً : صيرورة مصر مركزاً صناعياً كبيراً ، تنتشر فيه المندوجات القطنية والسكتانية وغيرها في جميع أقطار الشرق وهذه المصانع حين تكثر ، تكون نواة طيبة للصناعات الأخرى الناشئة في البلاد . التي سوف نشيد على أسامها مجد النهضة الصناعية المأمولة في بلادنا ، والتي ينتظرها المستقبل الزاهر على وجه الاجمال بإذن الله

وجوب عدم الحد من التوسع في زراعة القطن

خطاب لمعالى وزير الزراعة

حضرة صاحب المعالى الجليل صديقنا العزيز وزير الزراعة
احتراماً واجلالاً لذاتكم الكريمة . وبعد فان زراعة القطن هي عماد ثروة البلاد ولم نعرف لأى سبب تنوى الحكومة الحاضرة دوام نقص مساحته ؟ فوزارة الزراعة وعلى رأسها وطنى صميم من واجها الدفاع عن هذه المكسرة لأنها مبدخه لثروة البلاد القومية فضلا عن أنه لا يصح بوجود معاليكم ان تنقص الثروة القومية لانه اذا كان هناك داعى لهذا النقص في زمن الحرب فالجرب قد وضعت أوزارها منذ عامين وزيادة . وليس هناك تنويع ولا تشكيل في الزراعات يبرر ذلك . فاهلنا وطيد في معاليكم ان تفكروا في هذا الامر لان البلاد تنتظر منكم زيادة ثروتها وختاماً تفضلوا معاليكم بقبول العظيم الاجلال ؟
فلبنى فهمى باشا

رد معالى الوزير

عزيزى سعادة قلبنى فهمى باشا
أهديكم خير تحية وقد تسلمت خطابكم عن زراعة القطن وانى متفق معكم في أهمية هذا الموضوع الذى تعطيه الوزارة كل عنايتها وبخصوص ما جاء بخطابكم من تعديل تحديد المساحة فان هذا سيكون إن شاء الله موضع عنايتي في العام القادم . لأنه من المستحيل الآن النظر في عمل أى تعديل وقد أعد كل مزارع دورته الزراعية وأستعد فعلاً للزراعة . والله ندعو أن يبارك في المحصول وأن يكتب للقطر كل توفيق .

أحمد عبد الغفار باشا

وتفضلوا بقبول فائق تحياتي ؟

تخليد ذكرى العظماء

هو مظهر لتقدير الأئمة وبرها بالعاملين من أبنائها؟!

الأمة الحية المتعددة هي التي تمض كل حين وحين . بتخليد ذكرى عظمائها . فشير بذلك ذكريات البطولة الأصيلة في نفوس أبنائها العاملين الذين مهدوا لطرائق مجدها وتقعدوا اقواس العظامة لها : فتراهم اذا ما أكل أحد من رسالته العالية . ولحق بالعالم الثاني ، قامت الأمة حكومة وشعباً للعمل على تخليد ذكراه ، وهو الذي بر بأتمته حياً . وكان مبعث فخر لها ميتاً بما أداه لها من جليل الخدمات ، فاذا نصب وتمائيل على مفارق الطرق تقام . وإذا مدشآت في مراكز الأقاليم والأحياء الهامة تسمى باسمه ، فيتردد على كل لسان ، ويصبح عائقاً بكل ذهن وكأن القوم تغلبوا فعلاً على الموت ، إذ أحيوه . بظلمهم ، حياة أخرى متلاحقة . ولم يتركوه ليغدو فريسة للسنيان بتعاقب السنين وتوالى الأعوام . . .

أما في مصر فإن الحال غير الحال ، إذ يبرز فيها أصحاب الشخصيات الساحرة ، والمواهب العظيمة ، ويؤدون رسالتهم خير الاداء ، وينفعون أمتهم ، ويفيدون مواطنيهم ثم يموتون . والموت وظيفة الحياة أو هو مصير كل كائن بشري ، فنحزن عليه قليلاً ونؤبنه في الصحف بمقال أو مقالين ، وفي المنتديات العامة بخطبة أو خطبتين ويمر كل شيء . بعد ذلك في نظامه العادي وكأنه لم يكن بالأمس كوكباً ألمع بل كأنه لم يكن يوجد في الدنيا . ولم يؤد للناس ولا مته منافع عظيمة .

والآن نحدثني — هل يعرف شبابنا اليوم شيئاً كثيراً عن « رفاعه بك رافع الطهطاوى » ؟ ذلك العالم الذى كان ملء الاستماع والأبصار حقبة ليست بعيدة من الزمان ؟ وهل يروا بذكرى « على باشا مبارك » ، « وعبد الله الفيلكى باشا » ، وزميله اسماعيل الفيلكى باشا ؟ وهل ذكروا خدمات قدرى باشا ؟ وهل درسوا آيات العظامة والمجد والفخار في حياة رياض باشا الوزير الكبير وشريف باشا الحاكم الخضير ونوبار باشا السياسى القدير ؟ هل أدركوا أن هؤلاء جميعاً كانوا دعائم النهضة المصرية في الجيل الماضى ؟ بل هل كنا يارين بذكرى عظماء نهضتنا الحديثة في هذا الجيل الحاضر ؟ .. أننا لو شئنا أن نعدد الأسماء لأنفسنا أمامنا المجال ولكن يكفى أن نذكر المغفور لهم عدلى باشا وعبد الخالق ثروت باشا ، وحسين رشدى باشا . واحمد زيور باشا وغيرهم . ولكننا نكتفى بالقول . بأنه كان عقوقامنا لا يقتصر أن نهمل العمل على تخليد ذكراهم . . .



الأمير أحمد زكي باشا

حقاً أنه قد أقيم في السنوات الأخيرة تمثالان للمغفور له سعد زغلول باشا ، كما أقيم تمثال آخر للمغفور له مصطفى كامل باشا . وهذا واجب وفروض . أدته لها البلاد . لقيام

خدماتهما العظيمة ... ولا ريب أننا نتنظر أن تستكمل الحكومة هذا الواجب ، فقيم لغيرهما من العظام تمثيل
تذكارية عرفانا من البلاد لما أدوه لها من جلائل الأعمال .

ولا ريب أن شبابنا الناهض عند ما يلقى بصره عليها ، ويراها ناهضة توحى بالمجد والعظمة ، سوف يستعيد
سيرتهم الخالدة ويتلقى منها دروس البطولة والأقدام ...
فن واجب الحكومة والشعب معا ، أن تنهض بإيجاز هذا العمل المقدس ، فقيم التماثيل لمن ذكرناهم من
العظام الذين يفخر بهم تاريخ مصر ، وهذا أقل ما ينبغي علينا نحوهم . تقديسا لهم وبراً بتاريخهم ...

مفتشو الاقاليم

الدعوة إلى إعادة النظام الخـاص بهم

إن الذين يعرفون بالاختبار ، فداحة المهام المتعددة الملقاة على عاتق وزير الداخلية ، يدركون أن وقته
لا يمكن أن يتيح له الفرص الكافية لرقابة أعمال الموظفين التابعين له ، والاشراف على تصرفاتهم في الاقاليم
ولذلك كان يوجد في الماضي وظيفة مفتش عموم أقاليم قبل ، ووظيفة مفتش عموم أقاليم بحرى . . وكان كل
منهما حائزا على سلطة الحاكم العام ، وكان من اختصاصهما ، دوام التجوال بالمديريات ، والتفتيش على الاعمال
الادارية ، وتفقد الاحوال العامة ، وسماع شكاوى الاهلين . وفرض المشكلات ، مما يؤدي إلى أحسن النتائج .
ويحقق فوائد جزيلة للبلاد : ويساعد وزير الداخلية على مهمته الكبيرة .

ولا ريب أنه إذا تم الرجوع إلى إعادة هذا النظام لوجدنا من آثاره الحيدة ما يكفل توطيد أركان الامن
في البلاد : ومنع الخيف عن الاهلين ، وتسهيل وسائل الانصاف لهم : لأن كل مفتش من مفتشى الأقاليم ، يصبح
لوزير الداخلية كاليد اليمنى . ويكون خير معاون له على تقويم سير الاعمال في المديريات : بما يجلب الخير : ويدفع
الكثير من الضرر . الأمر الذى يخفف عن كاهله العبء الثقيل الذى ينوء به من المسؤوليات الجسام !

ولقد سبق لى أن تقدمت بهذا الاقتراح فى سنة ١٩٣٦ لوزارة صاحب المقام الرفيع على ما هو باشا ، فنفذته ،
ولكنه أهمل بعد ذلك . ولهذا أرجو إعادة العمل بهذا النظام ، لما ينتظر منه من الفوائد العظيمة . باستمرار
وجود الرقابة الفعلية على حكام الأقاليم ومن يليهم من الموظفين .

ادماج الاحزاب فى هيئة واحدة

على ضوء الاحوال الحاضرة وبعد أن نالت مصر استقلالها وأصبح بلداً برلمانياً له دستور محترم مرعى لم يبق
مما ينقصنا الا اندماج جميع الاحزاب السياسية فى هيئة واحدة قوية تقف أمام الاحداث متكاتفه وتناضل فى
سبيل رقى الامة ونهضتها مادامت غايتها واحدة . والرأى عندى هو أن تندمج الاحزاب جميعها فى هيئة واحدة
حتى تصبح الامة كما كانت عليه حالها فى زمن الجمعية التشريعية التى أدت للبلاد أجل الخدمات لان قوى البلاد
كانت موحدة بعيدة عن التفرق والتناذب وبث روح الخصومات التى لا طائل تحتها .

ولقد اتضح لنا أن هذه الاختلافات التي تنشب بين الأحزاب ما هي إلا للوصول إلى كراسي الحكم، فالحكم هو هدفها جميعاً فاما أن تندمج الأحزاب كما قلنا في هيئة واحدة وتسير على مبدأ واحد وإما أن يقضى عليها نهائياً من الوجود ولا سيما في هذه الاوقات الحرجة وأخطار الازمات جاثمة على نواحي العالم غربه وشرقه ولقد اتحدت أهداف الأحزاب في هذه الاوقات في جميع الامم الديموقراطية حتى أصبحت كحزب واحد في غايتها وآمالها فانعدم التطاحن واختفى شبح الحصومة التي تجرالى الشقاق والفشل في تحقيق الاماني القومية . فياحبذا لو فرنا بهذا الأمل المنشود والذي يتحقق به رجاء الأمة وتستكمل به سعادتها ونهضتها في ظل مولانا الملك المحبوب والله ولى التوفيق.

في سبيل الدفاع الوطنى

كل تضحية في سبيل تأمين سلامة البلاد تستعذب وتستطاب . ولايمراء في أن عظمة مصر الاصيلية في ماضيها وحاضرها تحتم عليها أن ترندى ثوب عظمته العريقة . وأقرب العمود التي تمثل ما كانت عليه مصر من السؤدد والمجد ، هو عهد ساكن الجنان المغفور له محمد على الكبير ، فقد زهت البلاد في أيامه ، وملا سلطانها آفاق الدنيا ، لمد امتدت فتوحاته العظيمة ، واتسع نطاقها حتى بلغت ابواب استانبول نفسها ، مما رفع ذكر بحريتها القوية ، وأعلى قدر جيشها الفاتح ، وجنودها البواسل الظافرين وقائدها ابراهيم باشا العظيم .

والتاريخ وحده خير معبر عن هذه المفاخر القومية ، وأحسن واصف لما كانت عليه من العظمة والسلطان كذلك في عهد الخديوى اسماعيل الذى امتدت فتوحاته للبحشة حتى استرلى على هرر زيلع ..

وفي هذا العهد ، الذى نالت فيه مصر استقلالها واندمجت في كتلة الامم العظيمة صار لزاماً عليها أن تعود سيرتها الأولى من استكمال مجدها وأسباب قوتها — وكل هذه شؤون لا تتوفر لها الا بأن يكون لها جيش عظيم يطابق ما تصبو اليه من رفعة ، وبحرية قوية تلائم ما تتوق اليه من عظمة ، وطيران يعادل الطيران الحديث في البلدان الراقية الاخرى وذلك فضلاً عن استكمال ما تحتاج اليه من تنظيم للطرق العسكرية ، ومد للخطوط الحديدية ، وغيرها من مستلزمات الدفاع الوطنى ...

وحيث أن هذه الشؤون الحيوية الهامة ، تستلزم جهوداً جبارة ونشاطاً متوالياً ، ونفقات باهظة ، وأموالاً ضخمة ، فقد فكرت في انجع الوسائل التي توصلنا إلى مصدر جديد يقوم بسد هذه النفقات من دون الالتجاء الى استقطاع مرتبات الموظفين ، أو انقال على خزينة الدولة ، أو ارهاق لاحد من أفراد الأمة فوفقت الى الرأي الآتى :

من المعلوم أن عدد سكان مصر بحسب التعداد الاخير هو ١٧ مليون نسمة فاذا فرضنا أن عدد الذين يدخون منهم هم أربعة ملايين شخص فقط وأن متوسط ما يدخنه الفرد منهم هو على أقل تقدير قرشان في اليوم . فاقتراحى في هذا الموضوع هو أن يفرض على المدخنين الاستغناء عن التدخين يوماً واحداً في الاسبوع ويخصص دخله للدفاع الوطنى على اعتبار قرشين لكل فرد من أربعة ملايين مدخن .

وعلى هذه القاعدة يتوفر في الاسبوع الواحد ٨٠ ألف جنيه .

وفي الشهر باعتباره أربعة أسابيع ٣٢٠ ألف جنيه

في السنة باعتبارها ١٢ شهراً ٣ ملايين ٦٤٠ ألف جنيه .

وهذا المبلغ ان لم يكن كافياً . يستمر العمل به سنة أخرى ، أو سنوات على أساس هذه القاعدة الى ان تستكمل الطلبات الخاصة بالجيش والبحرية والخرية والطيران ونحو ذلك .

ذلك هو ما أراه كفيلاً بآتمام وسائل الدفاع الوطنى بكل احتياجاته . وللحكومة أن تبحث عن الطريقة التى تلاءم لتنفيذ هذا الاقتراح وما لا ريب فيه أن الاستغناء عن التدخين يوماً واحداً فى الاسبوع أو التبرع بهذا المبلغ فى سبيل الوطن العزيز لا يضايق أحداً على الإطلاق

وجوب محاربة المكيفات فى الريف

من الصواب ، أن تعي الحكومة قواتها لمحاربة المكيفات التى حلت محل المخدرات والسموم البيضاء بأنواعها فى الريف المصرى . فإذا كانت يد القانون قد استأصلتها ، فإن المدمنين عليها قد استعاضوا عنها « بالشاي الأسود » الذى يشا بين الفلاحين جميعاً شربه ، بعد أن يصبح داء كذا فى لون الفحم . فضلاً عن الإفراط فى التدخين ، لاسيما « الدخان المعسل » الذى يلقون عليه اسم « حزن كيف » ؟ . . . !

ولقد أصبح هذين النوعين من الكيوف الآن . سلطان الكيوف القديمة التى انقرضت تحت ضغط الرقابة الحكومية كما أن لها مثل تأثيرها على حياة المدمنين عليها وهم السواد الأعظم من الفلاحين — مع الأسف الشديد . وأضرارها لا تقل بحال عن أضرار المخدرات المميتة . . .

والفلاح المصرى ، على الرغم من عدم كفاية الاغذية التى يتناولها فى وجبات الطعام مما سبب له الهزال والمرض والضعف تزيد هذه المكيفات ضعفاً فوق ضعفه وتورثه الوهن الذى ينجم عنه عدم القدرة على العمل فى الحقل ، أو بذل جهوده فى استثمار الارض على صورة تكفل له محصولاً وفيراً وتجعله يعجز عن الهوض بتكاليف عيشه وأود حياته !

صحيح إن فلاحينا بفضل النواهى الدينية لا يكادون يشربون الخمر . ولكن العلميين بحقائق الاحوال يدركون أن الانغماس فى مثل هذه المخدرات المزدولة لا تقل كوارثها عن كوارث الادمان على الخمر . فان شرب الشاي يمثل هذه الكثرة والإفراط فى التدخين يفسد عليهم حياتهم الهادئة . لأن كل قرش ينفق فى هذا السبيل معناه ذهاب جانب كبير من كسبهم ، وقوتهم الضرورى فى مكيفات ضارة يصعب الإفلاج عنها . ويؤدى ذلك فى النهاية إلى حرمانهم ، هم وأسرهم وأولادهم من الغذاء المفيد ، أو الكساء اللائق — وهذا هو أبلغ الضرر على أقل تقدير !!

فيجب أن تبذل الحكومات مجهوداً قوياً ، لتنفير الفلاحين وطبقات العمال من أمثال هذه المكيفات ولو توسلت لذلك باستصدار أمر بتحريمها — ويجب مبدئياً التوسع فى الدعاية التى ترمى إلى تنبيه الأذهان إلى الأضرار التى تنجم عنها . ولنا أسوة بما بذله فى هذا الميدان صاحب السعادة «رسل بإشاء» كمدار العاصمة السابق . وأعتقد أنه من الأجدى أن تتولى وزارة الشؤون الاجتماعية عن طريق وعاظها بث هذه الدعاية فى أنحاء الريف . ونرى أن فى توجيهها جهودها إلى هذا الميدان الذى يتصل بصميم رسالتها خدمة جليلة إلى السواد الأعظم

من أبناء البلاد . إذ تحفظ عليهم صحتهم وأمواهم ، بنهيم عن هذه السموم الخفية التي لا تقل أضعافاً للجسم ، ولا أضراراً به عن الحشيش والأفيون والخمر وبقية المخدرات الأخرى !!

الوقف الاهلى

بين الابقاء والالغاء

الوقف الاهلى فى ذاته لا عيب فيه وكذلك الوقف الخيرى فقد نص عليهما الشرع الشريف ، ولولا الوقف لاصبحت الثروة العقارية فى يد الاجانب ، ولتبددت كما تبدد ثروات طائلة خير موقوفة . ولا ريب أن الحكمة السامية من الوقف هو جعله بمثابة ذخيرة دائمة . ولولاه لحربت بيوت عامرة وانهارت عائلات عريقة بسبب تصرف ذرارها . وانى لاعلم أن كثير من أبناء الاغنياء كانوا يستدينون الجنيه الواحد بمائة جنيه ، على أن يكون وفاة الدين بعد وفاة والديهم وانتقال الثروة اليهم بالميراث .

من هذا المثال — وهو واحد من الآلاف مثله — يتبين صلاح الوقف الاهلى لصيانة ثروة الامة وحماية مرافق البلاد العقارية وهى كل ثروتها الاهلية — من الضياع .

إننا ندعو طالبي إلغاء الوقف الاهلى إلى إنعام النظر فى مدى ما ينطوى عليه نظام الوقف من فوائد .

وحسبه صلاحاً أن رسول الله ، محمد ، عليه السلام وقف أعياناً وتبعه ، عمر ، رضى الله عنه وغيره من الصحابة والتابعين ، وبحسبى أن أذكر أنه لما أثار بعض حضرات المحامين مسألة الوقف فى عهد سادس الجلسان المغفور له الملك فؤاد ، قدم ما يزيد على مائة من كبار علماء الأزهر الشريف إلى جلالتة وإلى البرلمان والحكومة ، عريضة ، أبانوا فيها شرعية الوقف وقالوا :

« إن كل عمل يمس — سواء أكان أهلياً أم خيرياً — يكون مخالفاً للشرع الشريف . . وأننا مع دعوتنا إلى بقاء الوقف الاهلى لا ننكر أن عيبه الوحيد منحصر فى نظاره الذين يعملون مصلحتهم الشخصية فوق كل مصلحة غير أن هؤلاء أشباهاً فى دوائر الاعمال جميعاً ولم يقل أحد أن فساد الموظف يستدعى هدم المصلحة التى يعمل فيها ، بل الواجب هدمه هو وتطهير العمل منه وتعيين نظار للوقف من الامناء الراشدين .

على أن الوقف فى ذاته لم يجبر أحد عليه بل الملاحظ أن الذين تقدموا لوقف أملاكهم كانوا صفوة القوم وعلية الامة من المفكرين والأمراء والعلماء والسراة ، وقد تقدموا لذلك بمحض إرادتهم حفظاً لذكراهم على الأيام وصيانة لثروتهم من الضياع .

تنشيط السياحة فى مصر

أصبحت السياحة فى كثير من الأمم الأوربية ناحية هامة من النواحي التى يعتمد عليها فى تنمية موارد الدولة وتشجيع حالتها الاقتصادية .

ولا ريب أن اهتمام الأمم منصرف كذلك إلى اتخاذ كل الوسائل التى تكفل تشجيع السياح لزيارتها ، لما يعود عليها من عيم النفع وجزيل الفائدة .

فالسياحة قد غدت شائعة تعم جميع الطبقات ، بعد أن كانت مقصورة على الأغنياء وذوى اليسار منذ زمن ليس بالبعيد . وبدأت الأمم تتنافس فيما بينها في الوسائل التي تتوسل بها إلى اجتذاب السائحين إليها . وكان من أثر هذا التنافس أن جعلت لكل زائر من الامتيازات ما لم يخطر على بال : فيما يتعلق بتخفيض أسعار المعيشة والانتقال . لذلك أرى لزماً على أن أشير هنا إلى بعض ما يحضرنى من الاقتراحات ، التي لو نفذت لكانت كفيلة بأن تجذب جموع السائحين إلى مصر - وهي أهم بلدان السياحة في العالم لاني أراها من العقبات الموقفة لنشاط السياحة في مصر .

أولاً - أن من أصعب الصعاب التي تعترض السائحين ، وتحمل الكثيرين منهم على تفضيل غير مصر من البلدان - مسألة التصريح الذي يعطى للسائحين من القناصل المصريين في أوروبا - أى ما يسمى « بالفيزا » حيث أن القناصل يضعون العقبات في سبيل إعطاء هذه التصاريح . طبقاً للتعليمات الصادرة إليهم ، فيلحق السائحون من إجراءاتها الرسمية ألوان المتاعب . فإذا أرادت الحكومة تشجيع السياحة ، فأول أمر يستوجب العمل به هو إلغاء هذه « الفيزا » ويكتفى الحال بشهادة من شركة « كوك » أو غيرها من شركات السياحة ، حيث تضمن بذلك عدم قبولها السائحين غير المرغوب فيهم ، وهذه الوسيلة تكون الحكومة قد حققت غايتها من جهة ، وخدمت السياحة من جهة أخرى .

ثانياً - من الضروري تخفيض أجور الفنادق مراعاة للزمان والحال . لأن الفنادق في مدن أوروبا خفضت أكثر من نصف أسعارها في سبيل تشجيع السياحة في بلادها ، فإذا أمكن الوصول إلى تسوية مع الفنادق ، كان ذلك من أهم الوسائل المشجعة للسياحة .

ثالثاً - ينبغي أن تخفض أجور السكك الحديدية المصرية . ه في المائتة للسائحين مثلما فعلت رومانيا والمانيا وإيطاليا وفرنسا وغيرها من البلدان تحقيقاً لهذا الغرض .

رابعاً - اختيار تراجمة وأدلاء من الأتماء المشهود لهم بالاخلاق الطيبة والاستقامة وحسن المعاملة :

خامساً - القضاء بتأنيلاً على التسول في شوارع مدن الآثار والعواصم الكبرى لأن هذا أمر يشوه جمال البلاد فضلاً عما يثيره في نفوس السائحين من الاشتزاز والمضايقة (ومحاربة التسول لا تكون إلا بادخالهم الملاهي كما هو موضح في اقتراحنا التالي)

سادساً - وجوب تأليف لجنة تسمى لجنة « الأعياد والمسرات » ، يكون من شأنها البحث في إيجاد الوسائل التي تسلي السائحين وتوفر أسباب اللهو لجموعهم ، وتجلب على قلوبهم السرور والغبطة - لأن هذه المسائل تفرى السائحين بزيارة الفطر المصرى .

فإذا نفذت الحكومة هذه الاقتراحات كان في ذلك أعظم وسيلة لتحقيق الغرض المنشود من تنشيط السياحة في بلادنا العزيزة . . .

التسول وصمة اجتماعية..!

في كل أمة من الأمم التي نالت حظاً من المدنية يوجد تشريع يراد به وقاية المجتمع من المتسولين ، وما يعرضونه على الأنظار من عاهاتهم ومقازيرهم . أما في مصر ، فلا تزال الحال غيرها في سواها من الأمم . إذ مع عدم وجود التشريع المذكور عملياً ، لا يبرح جيش المتسولين يملأ جوانب البلاد ، لاسيما في العواصم والأقاليم . مع أن مصر قد أصبحت إحدى عواصم الشرق الكبرى ، وهي تضارع اليوم أعظم المدن الأوروبية الرئيسية . وكيفما اتجه الانسان يرى أبواب هذه العاهات ، يلاحقونه ويسدون عليه الطرق — وهم بين عرج وعمى وعراة — الرجال منهم والنساء والأطفال — بأثوابهم الخلفة التي تشتمل منها النفوس . وهذا أمر خليق بأن يثير حمية من يغضبون لكرامة البلاد ، يستفزون بها همة الحكومة لأحمل على خلاص البلاد من التسول ، الذي هو وصمة اجتماعية أليمة . ولا ريب أن في محاربة التسول ، محافظة على سمعة مصر ، وإعلاء كرامتها ومنعاً لانتقال الامراض المعدية بأنواعها وتغلغلها بين الجمهور بواسطة هؤلاء المتسولين .

ولقد تقدمت للبرلمان باقتراح ، طالبت فيه بإدخال هؤلاء المتسولين — لاسيما العجزة والشيوخ منهم في الملاجىء — وقد وافق عليه البرلمان . وفعلاً بديء بتنفيذه ، ولكنه أهمل الآن فعلى الحكومة أن تعود إلى العمل به على ضوء هذا الاقتراح ، حتى تظهر البلاد من تلك الوصمة الموحية للخيال ، وباعثة على احتقار الاجانب وجموع السائحين القادمين إلى بلادنا لنا فتؤدى للبلاد أعظم الخدمات .

الغاء المجالس المالية ..

المحبون للإصلاح ؛ والراغبون في أن توزع العدالة بالقسطاس بين الناس ، والمتمسكون بالوحدة الوطنية ؛ الحريصون عليها ؛ يرون أن مصلحة الجمهور تقضى بتوجيه نظر الأحوال الشخصية بين جميع أفراد طبقاته ، وهذا الغرض لا يتحقق إلا بالغاء المجالس المالية ، وتحويل اختصاصاتها على المحاكم الأهلية — على أن تنشئ محكمة شرعية واحدة لكل طائفة يكون من اختصاصها النظر في مسائل الزواج والطلاق فقط — وبواسطة تحقيق هذا النظام تضمن مصالح الجمهور ، وتضامن حقوقه ، إذ من واجب الحكومة أن تشرف على حقوق رعاياها جميعاً على اختلافهم وتحافظ عليها ، لأنها هي وحدها الحارس الأمين لها .

أن المحاكم الأهلية تنظر في جميع أحوال وقضايا سكان القطر المصري على اختلاف المذاهب والأديان ، وتفصل في جميع المنازعات الخاصة بهم وبأموالهم ... فهل الأحوال الشخصية تتركز على أنظمة وقوانين تختلف عن هذه الأحوال ... حتى يكون هناك ما يدعو لبقاء المجالس المالية ؟ أن الدستور قد نص على أن جميع أهل البلاد متساوون في كل الحقوق والواجبات . ومن أول هذه الوجبات أن لا تتعدد الأحوال والوسائل التي تفصل في منازعات طائفة أو طوائف منهم ، فهم لا يرضون أن نعتبرهم غرباء عن الوطن ، وفي عقيدتي أن هذا أيضاً هو تفكير كل عاقل من أفراد هذه الطوائف المتعددة

أنى أقرر هذه الحقائق عن خبرة أكيدة ، وتجربة طويلة من اشتغالي سنوات عديدة بالمجالس المالية . تناهز

الخنة عشر عاما ، وما وجدت في قيامها إلا كل ما يستوجب الشكوى والتذمر ، ويستدعى الغامها ، وتحويل اختصاصاتها — كما قلنا — على المحاكم الأهلية ، والاكتفاء بمحكمة واحدة للطلاق والزواج فقط وبذلك تتحقق مصلحة الجمهور : وتتوفر أسباب راحته ، وتضامن حقوقه . فيكون هذا أوفر للكرامة القومية ...

أنا أعلم أن اقتراحى هذا سوف يغضب الكثيرين من غير المسلمين على وجه التخصيص — ولكن الذين سيفضون من مثل هذه الاعلاحات ينقسمون إلى قسمين . قسم لا يدري الصالح من الطالح . وقسم آخر مستفيد من قيام هذه المجالس . حتى أنهم غالوا في الأمر باعتبار هذه المجالس برلمانات لهم ، ولكنى أرى أن هؤلاء وأولئك ليسوا بمن يحرصون على صالح الجمهور وتضامن الأمة وكل من يرغب في خدمة البلاد ، وتوطيد أركان وحدتها الصحيحة يرى أن تنفيذ اقتراحى هذا : هو الصالح العام — ذلك لأن بقاء هذه المجالس الملية معناه استمرار قيام حكومات متعددة داخل الحكومة ، وهذا مالا يرضاه وطنى غيور يعنيه تضامن البلاد ، ويحرص على وحدتها القومية .

اقتراحات لمصلحة الوطن...^(١)

١ — حول مراتب الوزراء

في الدول الكبرى الديمقراطية ، وفي أنحاء العالم المتقدمين ، لا تزيد مراتب الوزراء عن الأربعين جنيتها شهريا ، وأماننا المشال وأضحاً للعيان ، أينما لقينا الأبصار . ففرنسا ، وسويسرا ، وأنجلترا ، والسويد ، والبنمرك وتركيا — هذه الدول العظيمة على وجه الاجمال ، لا تعدى مراتب الوزراء فيها هذه الأرقام . ذلك لأن الفكرة الغالبة هناك ، من هذه المناصب هي خدمة البلاد ، وتحقيق مصلحتها العامة ، وتوفير الرفاهية لمجموع الأمة . وذلك لا يأتي الا عن طريق القصد في موارد الدولة ، وتوفير أموالها ، حتى تستخدم في استكمال وسائل رفاهيتها ، وترقية مرافقها ، لا تبذيرها وانفاقها ، في المراتب الضخمة ذات اليمين وذات الشمال للوزراء . فان المراتب الضخم يغرى على الاستقتال في سبيل المنصب ، مما ترتب على هذا التهاك من أسباب الفرقة والزعاج ، وانى أنصح وأرجو خدمة للوطن المحبوب ، أن تدسج بلادنا العزيزة على هذا المنوال ، فلا تكون مراتب الوزراء فيها ، إلا على غرار ما هي عليه في البلاد الأوروبية الأخرى . ذلك لأن هذا المنصب الرفيع تقليد لا تخليد ، والغرض الذى يطلب من يتقلده الوصول اليه هو خدمة البلاد ، لاجر المعام . فلكي يتحقق هذا الغرض السامى ، يقتضى الأمر التضحية في سبيل البلاد ، بأن تحدد مراتب الوزراء على أساس أربعين جنيتها في الشهر .

٢ — حول مراتب أعضاء البرلمان

وكذلك الحال في أعضاء البرلمان ، فان من ينتخب نائباً ، فانما هو ينال الشرف العظيم بنباته عن الأمة وتمثيله للشعب تحت قبة البرلمان . وبدلاً من أن نفكر في تعديل قانون الانتخاب فنحرم فريقاً من الأمة من حقه الدستورى بجدر بنا أن نفكر في مراتب النواب ، وامتيازاتهم .

(١) نشرت بالصحف المحلية (الأهرام) ، و البلاغ ، و الانذار ، و مصر ، و كوكب الشرق ، و الجهاد .

فالنزاهة عن الأمة بقصد منها خدمتها ، فإذا كانت هذه المناصب ، وهي مناصب شرف ، تؤدي عنها للنواب مرتبات شهرية ، كما هو حاصل الآن . فإن ذلك يتعارض مع سمو الغاية المقصودة ، ونيل الأمان المنشودة منها ، فضلاً عن أن النائب إذا علم أنه بمعارضته للحكومة القائمة ، سيحرم من هذا المرتب الذي يفيضه عليه هذا المنصب فإنه سيجعل مجاملة الحكومة رائده ، إبقاء على هذا المرتب ، وذلك يتعارض مع المصلحة العامة بغير ريب ، فأقترح أن يكتب في الحال ، بمنح النواب ، ومثلي الأمة ، امتيازات للسفر مجاناً على السكك الحديدية . وأعتقد أن هذا الأمر ، كان قد سنه المفقور له الخديوي العظيم اسماعيل عبي مصر الحديثة . الذي شكل في عصره أول مجلس نيابي بالبلاد . فكان أعضاؤه من خيرة أهل البلاد ، ولم تكن لهم مرتبات تجرى عليهم ، بل كانت كل امتيازاتهم هي السفر بالجمان في السكك الحديدية ، وتقديم أقذاح ، القهوة ، لهم بعد فراغهم من الجلسات . فأقترح أن تلغى مرتبات النواب ، وأن تكون على غرار ما كان عليه الأمر في عهد اسماعيل العظيم . وبذلك تمثل الأمة أصدق تمثيل في مجلس نوابها ، ولا يتقدم لنوال شرف النزاهة عنها إلا الأكفاء ، الذين يستعدون التضحية في سبيلها ، والبذل في خدمتها ، من غير ابتغاء الجزاء المادي ، سوى مرضاة الله والوطن ، وراحة الضمير .

٣- السيارات الحكومية ووجوب إلغائها

وهناك أيضاً مسألة السيارات الحكومية التي تكبد خزانة الأمة نفقات باهظة . وهي من عرق جبين الشعب ، يجب إلغاؤها تماماً ، فإما بدعة لم تعرفها الحكومة المصرية قديماً — لا في عهد اسماعيل ، ولا في عهد توفيق — بل كانت بداية ابتدائها في أوائل عهد المرحوم السلطان حسين . واتسع نطاقها في هذه الأيام لدرجة أصبحت موضوع بحث ونقد في الهيئات الرسمية ولدى الرأي العام .

ويوجد كثير من الأمور ، وعديد من المرافق ، تنفق فيها أموال طائلة . أحجم بالقلم عن ذكرها فإن الصراحة وإن كانت واجبة التقرير ، إلا أن في ذكرها ما يدمى القلوب ويقرح الاجفان . !

٤- حول نقل مصحة حلوان للأمراض الصدرية

تحتل العناية بالصحة العامة في كل بلد من البلدان التي نالت حظاً من المدنية والحضارة كل اهتمام لدى المسؤولين والمفكرين في الصالح العام . فتضافر الجهود للعمل على إزالة مبعث العلل الخطيرة منها بمختلف الوسائل ، إذ المحافظة على الصحة العامة معناها في جملتها وتفصيلها سلامة الأمة وحفظ كيانها مبرأ من العلل والاختطار .

ولقد نشرت الصحف منذ فترة من الزمن خلاصة ما دار في اجتماع بلدية الاسكندرية حول ما يقال عن نقل مصحة حلوان للأمراض الصدرية إلى الاسكندرية ، وأشارت إلى آراء بعض الاطباء الذين قرروا أن مناخ الاسكندرية غير صالح لهذه الامراض . على حين يرى فريق منهم عدم الاقتصار على نقل مصحة حلوان من حلوان . بل الاكثر من مثيلاتها في داخلية البلاد ، لا في الاسكندرية وحدها أو على مقربة منها . والظاهر أن الباعث لهم على ذلك القول إما هو رغبتهم في الدفاع عن مصالح الاسكندرية — بصفتها مصيفاً عاماً لمصر — وخوفهم من وجود المصحة فيها التي تضم مرضى كثيرين يخشى أن يكونوا وسيلة لنشر هذه الامراض بين طرازهم . وإلا فما معنى معارضتهم في إنشاء مصحة بالاسكندرية على حين يطلبون تعميم هذه المصحات في سائر مدن القطر .

والواقع أن التساؤل عن صلاحية جو الاسكندرية أو عدم صلاحيته في شفاء مرضى الأمراض الصدرية مشكلة دقيقة تستأهل كثيراً من عناية الاختصاصيين في الطب وتستوجب كل اهتمام من المسؤولين عن الصحة العامة . ذلك لأن المشاهد كثيراً أن أشخاصاً عديدين أصيبوا بأمراض صدرية وبيلة وأنجعوا جو حلوان الجاف الحار الدافئ . وعولجوا في مصحتها طويلاً ، ولكنهم لم يستفيدوا فائدة تذكر من جوها إطلاقاً . وإذا أراد المرء دليلاً على ذلك الرأي فما عليه إلا أن يطلب إحصاء لعدد المرضى الذين دخلوا المصحة وعدد الذين شفوا فيها وخرجوا منها متمتعين بعودة الصحة إليهم ، والنجاة من هذا المرض الخطير .

لذلك يشير دهشتي هذا الرأي الذي يذهب إليه البعض عن عدم صلاحية جو مدينة الاسكندرية لعلاج هذه الأمراض . وذلك بدليل أن أمراض الصدر تنتشر في البلاد الأوروبية . وأطباء هذا المرض يختارون لإنشاء المصحات ، المناطق ذات الجو الشديد البرودة ، وأكبر مصحة لمعالجة هذا المرض موجودة في سويسرا ببلاد الثلج والجليد في بلدة اسمها ديفوس ، وكذلك في سان مورتز التي ترتفع عن سطح البحر ١٨٠٠ متر

واقعت حدث مرة في إحدى زيارتي لأوروبا أن أبدت إستغرابي لأحد فطاحل الأطباء الذين تعرفت إليهم من إنشاء المصحات في هذه المناطق الباردة ، وعدم اختيار مناطق تميل حرارة جوها إلى الاعتدال على الأقل . فقال لي أن المناطق شديدة البرودة أفيد للرضى بالصدر من المناطق الحارة . لأن الحرارة وجفاف الهواء ليس في مصلحتهم . وهذه المزايا غير متوفرة في حلوان على الإطلاق ، وإلا لكان الأولى في هذه الحالة إذا كان الجو الحار أفيد في علاج هذه الأمراض أن تنشأ هذه المصحات في الأقصر أو أسوان مثلاً

فيحسن بوزارة الصحة وبالحسين بالمشئون العامة الطبية — إذا أرادوا خيراً بالمرضى أن ينهضوا متضافرين للعمل على نقل مصحة حلوان الحالية من مكانها . والاستعاضة عنها بإنشاء مصحات أخرى في مناطق شديدة البرودة على غرار ما هو متبع في سويسرا وغيرها من البلدان الأوروبية . ولتحقق من صحة ذلك ما على القائمين بالامر إلا النظر إلى ما هو قائم من المؤسسات الصحية في ديفوس وسان مورتز .

إني أكتب هذه الكلمة ، لا بصفتي طبيباً . وإنما هي إختبارات شخصية ، شاهدتها بنفسى ، وأردت بإيرادها في هذا المقام أن أقدم خدمة لآبناء وطني العزيز . . .

٥ — مساخر الجنازات ووجوب القضاء عليها

من أسوأ العادات المتأصلة فينا نحن المصريين . بل أهل الشرق بغير استثناء ، مغالاة في التدين والتواضع على موتانا ، بل أن فينا من لا يكتفي بالبكاء على فقد عزيز بنفسه ، ولكنه يستأجر غيره ممن احترقوا مثل هذه الصناعة لمشاركته في البكاء . على غرار ما يصنع لنادبات اللواتي يؤجرن أنفسهن لكل راغب ، وهذا بلا ريب شيء مستهجن ، لا يتفق مع جلال الموت ، بل أنه يصور للمرء معاني الكذب . والرياء الأنساني . حتى في البكاء على من نفتقدهم من الأعداء . . . وليس في الحيلة رذيلة ، أو سخرية أكثر من هذه السخرية المردولة !!

وهناك عادة أخرى أمر وأدهى ، من هذه العادة . . . هي منظر هاتيك النسوة اللواتي يركبن العربات الكارو ، ويجترن بها شوارع القاهرة وميادينها الكبرى . . . ويلطخن وجوههن بالأوحال ، ويسرن وراء موتاهن على هذه الصورة البشعة ، وبذلك المنظر المخجل أمام جموع الأجانب الذين لا يسعهم إلا أن يحكموا علينا بالتأخر !

ولا جدال أن العقلاء يدركون أن مثل هذه الأمور المشينة تغض من جلال الموت وعظته المهيبة ولا تجعلنا نفهم المعنى الصحيح لرهبته وعظمته. مثلنا يفهمها الأجانب وهم سيكون في مآتهم بصمت بين المآقي والأجفان، من غير أن يشعر بهم أحد.

ولقد قرأنا فيما مضى، ما سبق لمحافظة القاهرة أن أمرت باتخاذها من إعداد عربات خاصة لنقل الموتى، حتى تقضى على هذه المناظر المؤذية التي ترى في جنازات الطبقات الفقيرة. وكنا قد تفاءلنا لهذا الاجراء، وسر له أهل الغيرة. لأن فيه خدمة عظيمة للبلاد، بمنع المناظر البشعة التي تراها في مآتنا وكان ينجس منها كل مصرى مستنير، إذا ووجه بها أمام الأجانب !!

ولكننا نقول مع الأسف أن كل شيء بقي كما هو ولا تزال هذه المساخر ترتكب في جنازاتنا... ولا تزال مواكب الذوة (راكبات العربات الكارو) الساعات وراء الموتى تخترق قلب العاصمة وشوارعها العريضة الهامة وكل شيء كما كان.. لأن هذا القرار ظل حبراً على ورق !!

ونحن نوجه أنظار المسؤولين إلى أن يعيدوا النظرة مرة أخرى! وأن يعملوا على تنفيذ ما ينطوي عليه من اجراء يمحو من جبين نهضتنا الحديثة هذه الوصمة المشينة، ويكفل خلاصنا من هذه المساخر التي لا يوجد في حياتنا أشد منها وأنتكى.

فهل من مجيب ؟!

٦ — تشجيع التعليم الصناعى

كم كان سرورى عظيما، وابتهاجى وافراً، عند ما طالعت ذلك القرار الحكيم الذى أصدره صاحب المعالي وزير المعارف: القاضى بجعل التعليم الصناعى فى مدارس الحكومة مجاناً.

وأن الذين يدركون حقائق الأمور، ويضعونها فى نصابها، يعلون مدى النفع الجزيل الذى يصيبه الوطن العزيز من هذا المشروع الحيوى الجليل. فان بلادنا — فى عهدنا الجديد ونهضتها الحاضرة — متجهة بكلبتها، وجماع قوتها إلى إنشاء الصناعات الحديثة، وترقيتها حتى تنهض بجوار الأعمال الزراعية، ولا جدال فى أن ذلك الأمر يحتاج إلى أيدي الصناع الماهرة. الذين تتقفوا بالعلوم والثقافة الصناعية. ومصلحة الامة المصرية تقضى بأن نعمل جاهدين على الوصول إلى الرقى الصناعى، كما نلنا من صنوف الرقى فى مختلف نواحي الحياة العمرانية الاخرى.

ولا ريب فى أن روح العصر الحالى هى الروح الصناعية التى تلزمننا بيعت النشاط الاقتصادى الذى يوفره للبلاد التقدم الزراعى والعلمى والادبى، والفنى عامة. والصناعى خاصة — وهو دعامة الحضارة، لان تخلفنا قديماً عن الأمم فى عدم عنايتنا بالصناعة، والعمل على إحياها كان هو العلة الاصلية لفقر الطبقات الشعبية والداء الاساسى فى إكثار الايدى العاطلة بين أبناء العمال والزراع، ومن يماثلهم — لخلو أيديهم من معدات النضال فى الحياة وأسلحة الكفاح فى سبيل العيش، لان كل صنعة يزاولها الانسان — نقيه شر العاقبة والحرمان — وفيها أمان من الفقر. فهذا القرار الحكيم، بجعل التعليم الصناعى فى مدارس الحكومة مجاناً، يعتبر بمثابة الخطوة العملية الاولى فى سبيل تقدم الامة الصناعى حقيقة، والحجر الاساسى فى إكثار الايدى العاملة وتفريج عطفة

الشباب المتعلم ، وهذه مأثرة ستذكرها البلاد لوزارة المعارف العمومية بمزيد الثناء والاعجاب . وبإحسان هذا
نالت المجانية ، في سائر المدارس والكلبات الأخرى بأقسامها ، عطفاً وعناية تكفل زيادة عدد الطلاب الفقراء
الذين يعجزون عن دفع المصروفات المدرسية ، وبمعنى أوضح أن يتقرر قبول ٥٠ في المائة بدلاً من عشرة فقط كما
هو الحال الآن

على أني أتمنى هذه الفرصة ، فألفت نظر الوزارة إلى أنه يوجد بين الأراضى التي أوقفها على التعليم في دائرة
مغاغة أرض خاصة لإنشاء مدرسة صناعية .

٧ - الدعوة إلى إنهاء مدينة حلوان الحمامات

تبدى بعض الطبقات في هذه الأيام كثيراً من مظاهر الاهتمام بالوسائل التي تكفل بعث الحياة إلى مدينة
حلوان الحمامات ، هذه المدينة الممتازة التي أصابها الإهمال ، بما بعث الموت إليها ، - وذلك بغية تجديد شبابها
القديم ، واستعادة مجدها الزاهر !

فمدينة حلوان الحمامات هي التي أنشأها جد جلالة مولانا الفاروق العظيم المغفور له الخديوي اسماعيل مصلح
مصر المجيد ، وأوجدها من العدم . بعد أن تبين له ما حبتها به الطبيعة السخية من منابع المياه المعدنية ، التي نالت
شهرة واسعة في أنحاء العالم ؛ - فضلاً عن هواء عليل ؛ لا نظير له على الإطلاق :

هذه المدينة كانت على الدوام مبعث العناية السامية من اسماعيل الكريم ؛ وموضع الاهتمام المتجدد من
خلفائه العظام ؛ حتى لقد ضارعت بحق . فيشى ، في فرنسا . وغيرها من المشاتي العظيمة !
هذه المدينة قد أهملت منذ عهد مضى ، إهمالاً تاماً . على الرغم من شهرتها المدوية . وما يكتنفها من الذكريات
التاريخية العظيمة . فضلاً عن مزاياها الطبيعية المنقطعة النظير !

فارتقاء حلوان وتقدمها . وعودة مظاهر الحياة إليها . متوقف على ما نوليه إياها من رعايتنا - وإننا لنأمل من
حكومتنا . ولنتمس من مولانا المليك المعظم أن يشمل هذه المدينة بجانب من رعايته ، ويبدلها شرف تردده عليها
حيناً بعد حين فتكون مشقته لجلالته . جرياً على سنة أجداده الكرام . فيسدى بذلك العمل الكريم إلى الأمة
المصرية ، وإلى الإنسانية كلها أجل النفع وأسمى القوائد - لأن مائة حلوان المعدنية ، تفضل كثيراً عن مائة مدن
العالم المعدنية المشهورة التي يؤمها السائحون من كل أنحاء الدنيا - ولا ريب أنه بعد انتهاء الحرب ، سوف يفد الأجانب
إلى حلوان للارتفاع بمزاياها الطبيعية النادرة ، من جو جميل ، وهواء عليل ، وخصائص لا مثيل لها على الإطلاق !
وانى أقترح للتوصل إلى تحقيق هذه الأمنية إدخال بعض الإصلاحات الضرورية التي يقتضيها الحال - وهي
تنحصر فيما يلي :

أولاً : استكمال تنظيم وتجميل كازينو ، حلوان حتى يصبح على طراز كازينو ، فيشى .

ثانياً : العمل على تيسير وسائل المواصلات إليها ، وذلك بالأسراع في تنفيذ مشروع كهربة خط حلوان - القاهرة .
ثالثاً : إعادة السباق إليها كما كان في الماضي . مع عدم التوسع في إنشاء ومصحات جديدة ، للأمراض الصدرية .

رابعاً : الدعاية لحلوان في مختلف الصحف العالمية ، ودعوة السائحين في أنحاء العالم المتمدنين للوقوف على

أسرارها الطبيعية الفريدة ، والاستفادة بمزاياها العظيمة !

عيد الجمهورية التركية

٢٩ أكتوبر ١٩٢٣ - ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٤٦

و جرينا على تحية عيد الجمهورية التركية في كل سنة . ونحن نرجو بتسجيل دفاخر الأعمال التي حققتها ، وبإيراد ضروب الإصلاحات التي تمت في عهدها ، أن يكون لنا فيها قدوة تحفز هممتنا على أن نهج على دنواها ، في شؤون الإصلاح الداخلي ، :



المعفور له الرئيس أتاتورك
الغازي (مصطفى كمال)

الثورات التاريخية لا تقوم لها قائمة إلا إذا كان قواها الاخلاص للبدأ وتضحية الذات في سبيل المجموع . هكذا كانت النهضة التركية في مبدأ أمرها تسمير وتسعى إلى غايتها العظمى .

ان الانسان عندما يريد أن يكون رأيا خاصا عن النهضة في الامبراطورية الرومانية القديمة ومصر الفرعونية الخالدة وفرنسا الجمهورية العظيمة أو أية أمة من الأمم العظيمة أو أية دولة من الدول الناهضة الحاضرة والماضية ، فلا بد أنه واجد نفسه بين أمواج بحر خضم من الأعمال الجليلة التي قام بها أبطال تلك النهضة الذين بنوا أسس نهضة بلادهم مضحين بالنفيس الغالي في سبيل اسعاد شعبهم . كذلك الحال ، إذا استعرض الكاتب أعمال بطل تركيا

المرحوم مصطفى كمال يوم كان لا قوة له إلا عزيمته وثقته وإيمانه بحرية بلاده ، يوم خرج للدفاع عن كيانه بلاده في ميادين الأناضول . لقد دون بطل القرن العشرين في مذكراته الخاصة إذ ذاك ما يعش بصدره من آمال عظيمة ينرى تحقيقها لبلاده . وقد كان . وحقق الله آماله . ولم تكن هذه الآمال سوى آمال الشعب الذي كان يروح تحت نير الاستعباد .

وبشكل أمة من الأمم عيد قومي . تحتفل به : وتثير فيه ذكريات الوطنية والبطولة والجهاد : فتبرز خلال تلك الذكريات جلائل الأعمال التي أداها للوطن : فريق من صفوفه أبنائه العاملين . ثم خلفوها أثارا خالدة وأجادا باهرة : يتوارثها الأبناء عن الآباء والحفدة عن الأجداد .

واليوم - ٢٩ أكتوبر - تحتفل الأمة التركية بالذكرى الثالثة والعشرين لتأسيس الجمهورية . وأنه لمن محاسن المصادفات أن يأتي هذا العيد المجيد في وقت تنجبه فيه أنظار العالم صوب هذه الأمة الباسلة . بعد انتهاء الحرب مع ألمانيا وانضمامها إلى جبهة الدول الديمقراطية . وهذا كما لا يخفى على أحد كانت له من الأثر الفعال في التعجيل بانتهاء الحرب الأوربية بما ضمن الفوز التام للحلفاء !

وفي هذا اليوم الذي يحتفل فيه اخواننا الأتراك : الذين تربطهم بالمصريين منذ القدم . أعز الذكريات وأوثق الصلات بذكرى عيدهم الوطني ، يحذر بالمعنيين بالنهضة الحديثة وأطوارها الرجوع إلى الأسباب الباعثة عليها . ليستخلصوا منها العبر والمواعظ النافعة . وليذكروا العوامل التي دفعت هؤلاء الأبطال إلى تجديد شباب أمتهم .

وطرح جوهرها القديم : ثم الانخراط في عقد الدول الراقية ومتابعة خطى التقدم العالمى ، والمحافظة على كيان دولتهم ، بعد نشوئها الجديد .

لقد كان القابضون على مقاليد الحكم في الامبراطورية العثمانية البائدة . قبل النهضة الكيالية ، يحرون في سياستهم العامة ، وفقاً لما تمليه عليهم الأهواء الشخصية دون مبالاة بما قد تجره على الدولة من العواقب الوخيمة والنتائج الخطيرة .

وهكذا ظلت سياسة الامبراطورية العثمانية ، في مهب الرياح ، تقاذفها مختلف الأعاصير المتقلبة في أوروبا تارة وآسيا تارة أخرى ، فكان من نتائج ذلك أن أفلت الزمام من يد هذه الامبراطورية القديمة ، في السيطرة على توجيه سياستها الخارجية ؛ وفق المصالح القومية ، وظل الشعب يرسف في أغلال من الجور والجهالة ، رغم توافر أسباب النشاط والحياة في نفوس بنيه .

هذا ما كان قبل أن يتقدم المغفور له كمال أتاتورك مفشى تركيا الحديثة ، وزملاؤه العظام - وعلى رأسهم خليفته ، العظيم عصمت أيونو رئيس الجمهورية الحالى - إلى تولى أزمة الامور في البلاد وانهاج سياسة رشيدة ، أملت لها الوطنية الحققة ، والرغبة في الاستقلال الصحيح . فكان أن خلقوا من الرجل المريض ، شعباً قوياً باسلاً ، تدفعه قوته المعنوية الكاملة ، ويحفزه اعتزازه بأبائه وشجاعته الباهرة إلى التحرر والمجد ... !

ويضيق المقام على الكاتب ، إذا أراد أن يحصى سلسلة الاصلاحات النافعة والاعمال الجليلة ؛ التي انجزها زعماء تركيا الأبطال في مختلف النواحي التعليمية والثقافية والصناعية والاقتصادية . حتى أصبحت تركيا في مدى هذه الأعوام القصار ، دولة يحسب حسابها في حوض البحر الأبيض والبلقان . بعد أن كانت من قبل أمة مفككة الأوصال في متعدد شتونها .

ويكفي أن نشير إلى ما أنشئ من مصانع . وما استكمل من وسائل الأعمال للأستغناء عن منتجات الدول الأخرى . وما اتخذ من تدابير لتسهيل الاستهلاك المحلى . وتنمية الموارد المالية والاستغناء عن الأجانب الذين كانوا يمالهم من نفوذ قديم ، يقبضون على شرايين الحياة في البلاد .

على أن زعماء تركيا الحديثة لم يقصروا جهودهم على الاصلاحات الداخلية بل أعدوا للمستقبل عدنه . وتأهبوا لمواجهة الطوارئ . حفظا لسلامة الدولة فانشأوا جيشاً ، كبير العدد ؛ عظيم العدة ؛ وزودوه بأحدث ما أخرجه المصانع الحربية من الأسلحة ، وجعلوا من كل تركى جندياً عاملاً . ومن كل تركى مرشدة ماهرة ، وبذلك استعادت تركيا الحديثة مجدها التليد الذى أضاعه بعض الحكام في الامبراطورية العثمانية المنحلة .

ولقد رأى الرئيس أيونو في بضع السنوات الماضية أن يعمل على إنشاء أسطول جوى يضارع الاساطيل الماثلة في الأمم المجاورة لتركيا كما أنه رأى العمل على إنشاء وحدات جديدة في أسطول تركيا البحرى ، ولما كانت موارد الدولة المالية محدودة لا تكفى لتنفيذ هذه الأعمال ؛ فقد أهاب بوطنية أبناء الشعب ؛ أن يساهموا في توفير هذه المطالب الحيوية ليكفوا سلامة بلادهم .

ولم يكد يمضى يوم على هذا النداء ، حتى انتهالت التبرعات تباعاً ، بعد أن افتتحها أحد رجال الأعمال بمبلغ ١٢٠ ألف جنيه تركى ١٨٠ ألف جنيه مصرى ، ثم أخذت كل ولاية تقدم إلى الحكومة طائرة تسمى باسمها في ذكرى كل عيد وطنى للجمهورية ؛ وبذلك أصبح للأمة التركية أسطول جوى قوامه ٥ ألف ، طائرة حربية .

وهكذا استطاعت هذه الدولة الحديثة ، بما لها من مركز جغرافي ممتاز أن تكون عاملاً أساسياً في المحافظة على السلم في أوروبا وآسيا ؛ مما يسجل بالفخر لسانها العظام .

ولقد أرادت تركيا في الفترة الأخيرة ، أن تثبت للعالم أنها لم تنسلخ عن الدول الشرقية — كما يتهمها أعداؤها — فوثقت ما بينها وبين الأمم العربية من روابط بمعاملات مختلفة كالتى عقدتها مع العراق وإيران وسواها ؛ — وهما هي ذى تدعو وفود هذه الدول إلى عقد مؤتمر في أنقرة ، لتكوين جبهة منها تكون سداً منيعاً أمام كل اعتداء أجنبي عليها — كما أصدر الرئيس عصمت أينونو ، بموافقة المجلس الوطنى الكبير ، قراراً بإعادة طبع المؤلفات والكتب التركية بالحروف العربية ، ليسهل على الأتراك المقيمين في البلاد الشرقية الناطقة بالضاد التزود من علوم بلادهم وليسهل كذلك على الشرقيين الوقوف على نواحي النهضة التركية .

وهذه الأعمال تعلن الملاءمة بمجهود كله مفاخر وجلائل وإجاد تشرف القائمين بأمر هذه الأعمال التى قامت بها الجمهورية التركية في هذه السنة غير ما قامت به من مشروعات وإصلاحات في السنوات الماضية . ولو حاولنا تعدادها لاحتاج الأمر إلى مجلد كبير لحصرها دون أن نصل إلى الغاية تماماً . وكل عمل من هذه الأعمال المتعددة لا يدعو إلى الإعجاب والتقدير فقط بل يدعو إلى الفخر والتمجيد .

تلك عجلة بسيطة يسرنى أن أثبتها في هذا اليوم المجيد لتاريخ تركيا الصديقة بمناسبة عيدها السنوى وانى في هذا المقام لا يسعنى إلا أن أقدم بواجب التهئة والاجلال إلى ذلك البطل العظيم والمصلح الكبير خليفة أتاتورك كمال الجنرال عصمت أينونو والدكتور توفيق رشدى أراس وحضرات زملائهم أعضاء المجلس الوطنى الكبير وجميع من اشتركوا في النهضة التركية .

هذه صورة من تركيا الحديثة التى يتولى قيادتها اليوم ؛ الرئيس عصمت أينونو — تنطوى على كل عمل مجيد . وكل أثر حميد — نسجلها مغتبطين بذكرى هذا العيد العظيم ؛ راجين لتركيا الشقيقة كل تقدم وتوفيق ؛ فى رعاية قائدها الحكيم ؛ وإخوانه الأتجاد .

قَلْبِي فِيهِمْ بِأَشَدِّ

